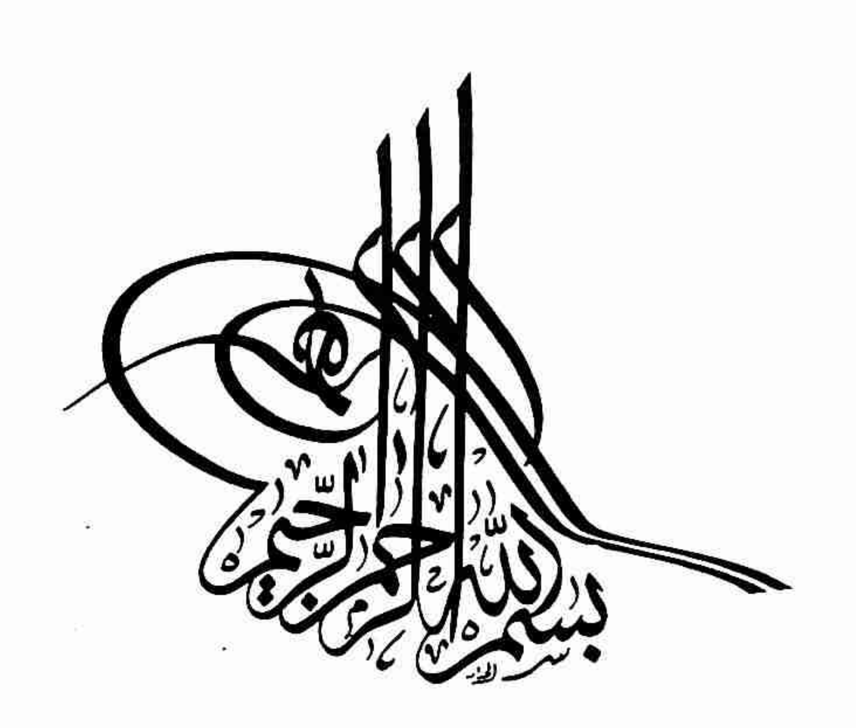
أشواك على الدرب

رواية

تأليف
محمود شاكر

المكتب الإسلامي

أشواك على الدرب


بسم الله الرحمن الرحيم

أشواك على الدرب

تأليف

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ - برقياً : اسلاميا - تلكس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين أما بعد :

فما أن بزغ فجر الإسلام حتى أخذت الحراب توضع في وجهه بدءاً من المحيط الضيق الذي شعّ منه النور حتى المحيط الذي لفَّ العالم كله وشمله ، وكانت دوائر الحراب الموجهة ضدَّ الإسلام تتسع مع اتساع دائرة الدعوة وانتشار الإسلام إلى أن عمّت الأرض المأهولة يومذاك .

ومع أن هذه الحراب كانت مصقولةً ، وكانت مشحوذةً ، وكانت مسمومةً إلا أن أثرها أمام الحق كان ضئيلاً ، وعملها كان قليلاً ، فالباطل مهما انتفخ لا بد من أن ينكمش ويتصاغر أمام الحق ، وإذا تعاظم الباطل وصال ، وانتصر في جولةٍ على الحق فلا بدَّ من أن يُهزم في النهاية ، ويزهق أمام دولة الحق التي ستدوم إلى قيام الساعة ، فيجب ألا يُغرَّ أهل الباطل ، ولا يعتزّون ، ولا يبتهجون ولا يسرّون بما حصلوا عليه موقتاً فمن سرَّه زمن ساءته أزمان ، وقد تمتعوا بطيباتهم ، وقادم الضرُّ

آتيهم ، وستدوسهم كتائب الحق . وهذا ماجعلني أنظر إلى حراب الباطل مهما كانت قاسيةً على أنها أشواك تحطّمها أقدام الحق ولا تبالي ، وتتجاوزها ولا تعاني ، والصراع بين الحق والباطل قائم منذ ابني آدم حتى قيام الساعة ، وكلما كانت دعائم الإيمان راسخةً اختفى الباطل في جحره ، فإذا ضعف الإيمان مدَّ الباطل بعنقه وتطاول ، كما يحدث اليوم ، وأخذ في زرع الأشواك ووضع الحراب في درب المسلمين .

ولم توضع هذه الحراب أو الأشواك في طريق الإسلام لعلَّةٍ في منهجه أو لنقصٍ في تعاليمه بل لسوءٍ في نفسية الواضعين ، وفساد في سريرة المعرقلين ، وشرٍّ في طوية المحاربين الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون ، ويريدون أن يُسخّروا الناس لمصالحهم ، ويستبدّوا بهم تجبُّراً وطغياناً ، ويستعبدوهم قوةً واقتداراً ، ويتصرّفوا بهم وبنسائهم كفراً وعصياناً . ولما كان الإسلام يحول دون ذلك التصرف لذا فهم أعداء له وحرب عليه ، والأشواك والمسلّات أسلوبهم في الشرّ .

وكذا وقف في وجه الإسلام سدنة العقائد الثانية من عبدة البشر ، والحجر ، والبقر ، والشجر وكهنة تلك العقائد

حرصاً على الميزات التي منحتهم إياها مواقعهم الكهنوتية ومراكزهم في معابد تلك الأصنام والمعبودات ، وكذا وقف ضدَّ الإسلام المتسلّطون على الأمم والشعوب الذين جعلوا من أنفسهم آلهةً من دون الله ، وسادةً مستبدّين يتصرّفون برعيتهم كما يشاءون ، ويستخدمونهم كما يرغبون ويشتهون دون ممانعةٍ ومن غير معارضةٍ خوفاً على أرواحهم من بطش الطغاة وقهر المستبدّين وكان وقوف أولئك الجبابرة أمام المدِّ الإسلامي حرصاً على سلطانهم من أن يزول ، وعلى مصالحهم من أن تُمسّ ، وعلى شهواتهم من أن تنقطع وذلك لأن الإسلام يحارب الاستبداد والطغيان ، ويحول دون سيطرة فئةٍ على فئةٍ ، ويمنع الاستغلال والظلم ، ويحرّم العبادة لغير الله ، فيقضي على عبادة المخلوقات ، كما يُحرِّم الرعي في أعراض الآخرين ، ويدعو إلى مساواة الناس بعضهم ببعض ، وهذا كله ما لا يرضى عنه أولئك الطغاة وذلكم السدنة والكهنة لأنه يتعارض مع مصالحهم وأهوائهم وشهواتهم ، ولذا وقفوا في وجه الإسلام ، وحاربوه ، وجنَّدوا ما أمكنهم تجنيده في سبيل القضاء عليه ، وأخذوا يضعون الأشواك في الطريق ، ويرفعون الحراب .

إن الذين حاربوا الإسلام في أول الأمر هم الذين يحاربونه اليوم ، بل هم الذين حاربوه على مدى مراحل التاريخ ، وهم الذين حاربوا دعوات الرسل والأنبياء جميعاً ، وهم الذين وقفوا في وجه الإصلاح دائماً. وهم أنفسهم الطغاة الذين يريدون أن يستعبدوا الخلق ، ويستبدّوا بهم ، ويُسخّروهم لمصالحهم ، وخدمتهم ، وشهواتهم ولا يرغبون أن يجدوا أية ممانعة ، بل الرضا حسب زعمهم لأن ذلك شرف لهم في تحقيق منافع السادة وقضاء حاجتهم.

ومنهم حاشية الطغاة الذين يعجبهم ما يحصلون عليه من ساداتهم ، وبقايا موائدهم ، وفضلاتهم ، ومايُنفذونه باسمهم متكبرين متجبرين ، ويظنون أن السيادة لهم ، وأن قيمتهم من قيمة مَنْ ينفِّذون أوامرهم « قيمة الكلب من قيمة سيده»، لذا يتعالون، ويتزلَّفون، ويمجّدون، وإذا انهار من فوقهم، انتقلوا إلى من أتى بعده، إذ يصلحون لكل وضعٍ مادامت الكرامة مفقودةً، والمبادىء غير موجودةٍ.

ومنهم الذين لا يهمّهم إلا جمع المال ، لا يُبالون بأي طريقةٍ يحصلون عليه ، ولا شك أن من الوسائل الأساسية للوصول إليه التقرّب من المتسلّطين ، والنفاق لهم ، وأَخْذ

المشروعات ، واحتكار العروض التجارية ، وتقديم الخدمات غير الشريفة ، والنيل من مال الأمة مقابل ذلك ، بل جعْله بأيديهم ، وهذا ما يجعلهم أبواقاً للظالمين يُنافحون عنهم مقابل مصالحهم .

وهذه الفئات الثلاثة : الطغاة ، وبطانتهم المنفِّذين للسلطة والتعليمات ، وأكثر أصحاب الأموال إلا من رحم ربي وقليل ما هم ، هم عماد ودعامة كل حكمٍ جائرٍ ، وقد أشار الله ، سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾(1) ، ففرعون يمثّل الجور والطغيان ، وفوق ذلك ادعاء الألوهية ، ويمثّل هامان البطانة الفاسدة والجانب التنفيذي لأوامر وتعليمات مقام فرعون السامي ، ويمثّل قارون أصحاب الأموال الذين يغلب عليهم الجشع وكنز المال ، ولا يُؤدّون حق الله في أموالهم .

---

(1) سورة غافر ٢٣ ـ ٢٥ .

ويضاف إلى هذه الفئات الثلاثة سدنة المعابد وكهنة تلك العقائد التافهة التي تقوم على عبادة المخلوقات حرصاً على منافعها التي تحصل عليها من الموقع الذي هي فيه ، ومن استغلالٍ له بأبشع الصور من الخرافات والضلالات حقداً على المسلمين الذين يؤمنون بما أنزل الله ويفخرون بذلك ، وحسداً من عند أنفسهم على أن ينزل الله خيراً على غيرهم ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾[1] .

هذه الفئات الأربعة هي التي وقفت في وجه الإسلام على مدار التاريخ ، ولا تزال تقف ، وتعمل على محاربته بالأساليب كلها ، وتعاونها في ذلك الجماعات التي لها مصالح معها ، وأصحاب الشهوات ، وأهل الفساد ، وتعمل على ابتكار أخبث الوسائل في هذه الحرب ، وتمدّها شياطينها بعد ذلك .

---

(١) سورة البقرة ٩٠ .

نرجو من الله أن نوفَّق في تبيان الأشواك بل الحراب التي وضعت أمام الإسلام في مختلف المراحل التي مرَّ بها تاريخنا.

ونستمد العون من الله سبحانه وتعالى فهو نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الأسواق عند ظهور الإسلام

بعث الله رسوله ، وخاتم أنبيائه محمد بن عبد الله في مكة التي كانت أم القرى في تلك النواحي ، فهي محطُّ القوافل التجارية وقاعدة انطلاقها إلى الشام في الصيف ، وإلى اليمن في الشتاء فتتجمع فيها بضائع اليمن والشام ومنتجاتهما ، وفي الوقت نفسه تأتيها قبائل العرب في الموسم حاجّةً إلى مقام أبيها إبراهيم عليه السلام فتبتاع من تلك البضائع وتأخذ من تلك المنتجات ، كما تُقدّم ما يتوفَّر لديها من نتاج إبلها وأغنامها ، فتكوّن حركة واسعة في التجارة. كما أن عدداً من أسواق العرب تقام على مقربةٍ منها ، في أوقاتٍ معينةٍ ، وتحضر إليها القبائل لتسمع مايُقال من شعرٍ فيها وعنها ، حيث لكل قبيلةٍ شعراؤها المنافحين عنها ، والشاتمين لخصومها ، كما يُلقى في تلك الأسواق من روائع الشعر وأعذبه ، ومن الخطب أجملها ، ويتمُّ الشراء ، ويقع البيع ، وتكون المبادلات.

ونتيجة تلك الحركة التجارية ، وسير القوافل نشأت طبقة ثرية في مكة ، تسلّطت على المجتمع واستبدَّت به ، وتحكَّمت في أفرادها فكانت لها الرئاسة ، وكانت لها

السيادة . كانت تشتري الرقيق ، وتكلّفه بالأعمال فيقدّم لها المال فتزداد غنىً ، وتتحالف مع الرجال ، ومع بطون القبائل ، ويُعطى لها بعض الإنتاج فيكثر ثراؤها ، وتزداد منعةً ، وتجير مَنْ يطلب الجوار فتكثر أعدادها ، وتكثر قوتها ، فتهابها القبائل الأخرى ، وتخشاها البطون الثانية. وكما تكلف الرقيق بالعمل والإنتاج تكلفه أيضاً بالحرب والقتال ، والذود عنها ، وعن رجالها من الأبطال والسادة الآخرين . وتشتري الفتيات من أسواق النخاسة التي برز فيها اليهود ، وتجعلهن جواري وخادمات تتصرّف بهن ، وتُحقّق فيهن شهواتها .

كما أن هذه الطبقة الثرية كانت تبذّر من مالها مفاخرةً ورياءً ، وتبذل منه الكثير على الخمر ، ويُنفق رجالها منه على صاحبات الرايات الحمر ، ويسمّون ذلك كرماً ، وتأخذ بعض أفرادها العزة بالإثم فتبطش بالضعفاء ، وتقتل من الموالي والفقراء ، وتسمّي ذلك شجاعةً وعزّةً . وربما أخذت الخمرة برأس أحدهم ، أو صوّر له الشيطان ذهاب شرفه فأسرع لوأد وليدته أو قتل ابنته وعدَّ ذلك شرفاً وكرامةً ، وبُعداً عن العار ـ حسبما يتراءى له أو حسبما يزيّنه له الشيطان ـ .

فلما جاء الإسلام يحمل مبادىء سماوية تُحرّم الظلم والاستبداد ، وتدعو إلى الأخوة في الإسلام ، وإلى المساواة بين بني البشر ، وتمنع الرعي في أعراض الناس قوةً واقتداراً أو رضىً وإغراءً دون عقدٍ شرعيٍ ، على حين تيسِّر سبل الزواج ، وتنهى عن السفه وتبذير الأموال ، والإسراف ، كما تنهى عن تجميد العقل وتعطيل الفكر بشرب الخمر وكل مايسكر ، كما تدعو إلى ترك عبادة المخلوقات ، والتخلي عن جعل شركاء لله وأنداداً له ، وإفراد الله وحده بالربوبية والألوهية .

صعُب على سادة قريش أن يتخلّوا عما اعتادوا عليه ، وعما ورثوه ، وعما يُحقّق لهم السيادة ، ويُؤمّن لهم الشهوة ، ويُوفّر لهم العظمة ـ حسب زعمهم ـ والتحكّم في الناس ، ويضمن لهم اللهو والاستهتار ، لهذا وقف أكثرهم في وجه الإسلام رغم قناعتهم بصدق الداعية وصحة ما يدعو له ، ولكن لم يُعملوا عقولهم وإنما غلبت عليهم شهوتهم ، وطغت عليهم شقوتهم ، وقهرهم كبرياؤهم فاتخذوا هواهم دليلاً فأضلّهم ، وأعمى بصيرتهم فكانوا من المقبوحين . ومن رجع منهم إلى عقله ، وترك هواه هداه الله فكان من المؤمنين ، وقد ربح ، ونال الأجر في الدنيا والآخرة .

ووقف في وجه الإسلام سدنة الأصنام من تلك التماثيل التي صنعوها بأيديهم ثم قالوا عنها إنها آلهة ، وهم يعلمون أنها لا تضّر ولا تنفع ، ولا تغني عنهم من الله شيئاً ، ولا تملك لنفسها خيراً ، ولا تدفع عنها ضراً ، ولكن كانوا ينتفعون من سدانتها ، ويُحقّقون مصالح من موقعهم الذي يحتلّونه ، ومن ممارسة الكهانة ، لذا حرصوا على الدفاع عن تلك الأصنام بل عن مصالحهم ومواقعهم ووقفوا في وجه الإسلام ، وعملوا على حربه بكل ضراوةٍ.

عزَّ على أكثر سادة قريشٍ أن يقولوا لا يمكننا أن نترك طغياننا ، وصعب عليهم أن يُواجهوا الناس بأنهم لا يستطيعون أن يتنازلوا عن شهواتهم ، ولا أن يتخلّوا عن لهوهم وخمرهم ، ولكن أعلنوا أنهم لا يقبلون أبداً مساواتهم بالموالي والعبيد ، وركّزوا على هذا الجانب ، وعدّوا هذا كرامةً ، وأنهم برفضهم الإسلام إنما هم يُحافظون على كرامتهم ، ويُدافعون عن مكانتهم التي أوْلتها لهم بقية القبائل العربية ، وتمسَّكوا بهذه النقطة ، وسكتوا عن غيرها مع أنها هي التي تعدُّ حجر الأساس ، فالشهوة ، واللهو ، والطغيان ، والتسلّط هي منهج حياتهم ، وشغلهم الشاغل. كما أنهم

وقفوا إلى جانب سدنة الأصنام والكهنة ، وادّعوا أنهم يُنافحون عن آلهتهم رغم علمهم بكذب دعواهم إذ يعرفون أنها أحجار يصنعونها بأيديهم ، ثم يجعلونها آلهة ويعبدونها ، وأنها صماء بكماء ، ولا يهبط بهم عقلهم إلى عبادتها بحق ، وإنما كانت رموزاً لهم ، يعبدونها ، ويتقرّبون إليها كعاداتٍ لهم ، وربما تبلغ بأحدهم الكبرياء فيسخر منها ، ومن الكهنة ، كما تبلغ الخسّة والوقاحة في هذا اليوم ببعض السفهاء فيسخرون من الذات الإلهية ، ويتكلمون عن رسل الله ورسالاته. ولكن سفهاء قريش من سادتها قد رفعوا هذه الأصنام إلى الواجهة ، ووضعوها في المكانة الأولى ، وادّعوا أنهم يُدافعون عن آلهتهم ، ويحمونها ، لأنها هي التي تُقرّبهم إلى الله زلفى ، ووقفوا تحت مظلّتها ، وتحت شعار الدفاع عنها ، وأخذوا يصدُّون عن الإسلام ، ويحاربون من اعتنقه ، وكل من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

غير أن هؤلاء السفهاء من (السادة) لم يجدوا في الإسلام ثغرةً يهاجمون أتباعه منها ، إذ هي آيات محكمات نزلت من عند خالق البشر ، ومُسيّر هذا الكون ، فلا يمكن أن تكون فيها ثغرة أو يوجد فيها اختلاف أو تباين ، أو أمر غير مقبولٍ ، أو

حكم غير مفهومٍ ، أو لغة غير مألوفةٍ بين العرب ، بل كانت في قمة البلاغة ، ومنتهى البيان ، لذا فقد سكتوا عن هذا الجانب ، ولم يستطيعوا المجادلة بل تأثر بعضهم بأسلوب القرآن ، ووقف بعضهم مشدوهاً أمام بيانه ، وأفحمتهم الحجة إذ تحدّاهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله ، وعجزوا رغم ادعائهم الفصاحة ، وزعمهم ريادة البلاغة .

كما أن السفهاء من (السادة) لم يجدوا نقيصةً لصاحب الرسالة يمكنهم أن يُوجّهوا سهامهم من خلالها حيث عرفوه ، وعرفه أفراد المجتمع جميعاً بصدقه ، وكرم خلقه ، وصلته للرحم ، ومساعدته المحتاج ، وحمله الكَلّ ، وعطفه على الآخرين ، فكانت صفاته كلها نبل وفضائل ، وما يختار الله رسله وأنبياءه إلا ممن هم على درجةٍ عاليةٍ من مكارم الأخلاق ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1] إضافة إلى ذلك فإن رسول الله ﷺ ، كان في مكانةٍ من قومه ، وعشيرته ، من أوسطهم ،

---

(١) سورة الأنعام ٨٤.

وأسرته من سنامها ، فهو من أشرفهم نسباً﴿ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1] فهو في حمىً وهيبةٍ ، كذلك مكانته من الله ، وحفظه من لدنه .

لهذا لم يستطع (سادة) قريشٍ أن يجدوا مطعناً يدخلون منه فلجؤوا إلى الادعاءات والأكاذيب ضدَّ صاحب الرسالة فادّعوا أنه شاعر ، وأنه ساحر ، وأنه كاهن ، وأنه قد أُصيب بمسٍّ ، وهم يعلمون إنهم لكاذبون. وهذه حرب نفسية عنيفة تصيب صاحب الرسالة نفسه ، كما تنال المؤمنين الذين اتبعوه جميعاً ، ولكن الله سلَّم ، وكانت ردَّة على المدّعين الكاذبين إذ أصبح بعضهم يكذب قول بعضهم الآخر ، وبعضهم ينكر ادّعاء بعضهم الآخر ، وبعضهم يردّ قول غيره. أما بالنسبة إلى المؤمنين من المستضعفين فقد وضعت الحراب في طريقهم ، ونالهم كثير من الأذى البدني حتى فارق بعضهم الحياة ، ومضى إلى ربه محتسباً ، ونرجو الله أن يكون قد مضى

---

(١) سورة الأنعام ١٢٤ .

شهيداً ، وإن لم يكن هذا الأذى البدني والعذاب بهذه الشدة قد نال المؤمنين من السادة كأبي بكر ، وطلحة ، وعبدالرحمن ، وعثمان ، وخالد بن سعيد وغيرهم إلا أن أشواكاً كثيرةً قد وضعت في طريقهم ، وأصاب بعضهم أذى من أهله كسعيد بن زيد ، والزبير ، وأبي حذيفة ، و . . . وعلى كلٍّ فقد أصابت الحرب النفسية الجميع بلظاها ، وشاكت الأشواك المؤمنين كلهم ، وصبروا ، وكانت العاقبة للمؤمنين .

لقد ديست الأشواك بالأقدام ، وتكسَّرت الحراب ، وانتصر الحقُّ وزهق الباطل ، وخضع السفهاء بالأمس للحق ، ودانوا له ، وأصبحوا من أهله وصدقوا ما عاهدوا عليه ، وذلك بعد أن تساقط عدد من أكابرهم في الصراع الذي استمرّ ما يقرب من عشر سنواتٍ ، وكذلك مات عدد منهم قبل أن يطأطىء سادة قريش رؤوسهم فيصحو هو . وسكنت أفكار الجاهلية ، وانحنت رؤوس الطغاة بالقوة ، وارتفعت راية الحق في بلاد العرب ، ونُكّست فيها أعلام كسرى وقيصر . وجثت الثعالب على أبواب أوكارها خائفةً من الاندفاع نحوها ، وأخذت تستعدّ للدخول في الجحور . وخنع اليهود ، وتوقّف تيار جرائمهم وفسادهم ، ولم يجرؤ أحدهم

على فتح جريانهم مادام الحق هو المهيمن.

وخمدت عناصر الشرِّ، ولم يبق على الساحة في أرض العرب إلا الخير، وتسطع عليها أشعة النور فتلفَّ الجزيرة، وتملؤها إشراقاً وسعادةً.

الأشواك أثناء قوّة الإسلام

انتصر المسلمون ، وارتفعت راية الحق ، واختفت رؤوس الباطل في جحورها ، وخنس الشيطان ، واكتملت الرسالة ، وتمّت نعمة الله ، وانتقل رسول الله ﷺ ، من هذه الدنيا ، فوسوس الشيطان ، وظهرت دعامات الكفر من أوكارها ، وظنّت أن الوقت قد حان لها أن تعمل ، فأعلنت ارتدادها ودعواها ، وتبعها الذين في قلوبهم مرض ، ودعمتها دول الطغيان والظلم من خارج الجزيرة ، واقتنع جميعهم أنهم قادرون على إطفاء النور ، ولكن أمر الله ماضٍ ، فقُضي على المرتدين ، وثاب إلى رشده من ثاب ، واتجهت قوافل الجهاد تدك صروح الظلم والطغيان في دولتي فارس والرومان ، فزالت الأولى ، وتراجعت الثانية عن كثيرٍ من مواقعها ، وقبعت فيما بقي لها من أجزاء تتربّص الفرص، وغدت دولة الإسلام سيدة الدنيا ، ومنارة أهلها في الخير ، والصلاح ، والحضارة ، والسعادة.

أمام المدِّ الإسلامي ، وقوة الدولة ، ونفير المجاهدين في

سبيل الله ، وإيمانهم بمهمتهم في الحياة ، وإخلاصهم في اندفاعهم ، وثقتهم بنصر الله . وأمام انتصار المسلمين على أعدائهم في ساحات القتال كلها ، وتفوّقهم الدائم ، ومعنوياتهم العالية ، وعدم ثبات الخصوم أمامهم ، كل هذا جعل أهل الباطل جميعاً يختفون إلى حينٍ ، وإن لم يتركوا التفكير بالعمل في الخفاء ، ويتربّصون ، ويتحينون الفرص بالمسلمين .

رأى أهل الباطل في الداخل أن يعملوا بمعاولهم هدماً ، وقد فقد بعضهم مصالحه ، وزال سلطان بعضهم الآخر ، وضاع نفوذ آخرين ، فأخذ هؤلاء جميعاً يضعون الأشواك والحراب بين صفوف المسلمين ولعلَّ أخطر الجماعات التي حملت بين جوانحها محاربة الإسلام بعض المجوس الذين زالت دولتهم ، ففقدوا بزوالها سلطانهم ، وامّحى نفوذهم فحقدوا على الإسلام ، وكذلك اليهود الذين أضاعوا نفوذهم المادي الذي كان يُبوّئهم مركزاً ممتازاً حيث كانوا يتاجرون بالنساء ، ويهتكون الأعراض ، ويروّجون المفاسد كي يكون لبضاعتهم سوقاً واسعةً ، كما يتاجرون بالسلاح ، ويُثيرون الفتن ، ويُحرّضون على القتال بين القبائل كي تروج

بضاعتهم ، ويُقدِّمون القروض بالربا المضاعفة كي يزداد غناهم ، ويكثر تحكمهم بالآخرين ، ولكن بظهور الإسلام فقدوا هذا كله ، كما خنعوا وذلّوا إذ أذلّهم السيف ، وأخضعتهم القوة ، وضاعت مكانتهم ، وبقوا صاغرين .

ظنَّ الفريق الأول من المجوس أن زوال بعض رجال الإسلام قد يُعيد لهم دولتهم التي ضاعت ، وربما يُرجع إليهم سلطانهم الذي فُقد ، فأخذوا يزرعون الأشواك في طريق المسلمين ، ويضعون الحراب ، وخططوا لقتل الخليفة ، وقد نجحوا ، وقُتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ومع أن الجرح كان بليغاً ، والنزيف كان سخياً ، والأثر كان واسعاً إلا أن إيمان الأمة ، ووعي الرعية ، وإدراك الشعب قد جعل الحادثة تمر دون أن يحدث خلل ، أو تقوم فوضى ، أو يقع ارتباك ، بل استمرت الدعوة على خط سيرها ، والفتوحات في مسارها ، والوعي على طريقه ، وكان أمر الله مقضياً .

وأخذ الفريق الثاني ، وهم اليهود أسلوباً آخر أكثر مكراً وأشد خبثاً إذ أحدثوا فتنةً قادها عبدالله بن سبأ فتنقّل في الأمصار ، وبلبل الأفكار ، وأشاع ما لم تتعوّد عليه الأمة ،

فأثّر على بعض الرجال الحديثي عهداً بالإسلام ، وبعض من غلبت عليهم البداوة فلم يعرفوا إلا الجلافة ، ويصعب على عقولهم ترك ما قبلته ، أو قبول غير ما ثبت فيها ، أو أول ما دخلها ، فحدث شرخ في جسم الأمة ، وإن تقاربت شفتاه يومذاك بعضها من بعضٍ لإيمان الأمة فقتل ذلك الدعيّ بأمر أمير المؤمنين الذي أظهر العمل له ، وهو كاذب ، وأبدى التبعية له ، وهو يبطن غير ذلك . واستغلَّ أصحاب الفريق الأول هذه الفتنة التي وقعت في المجتمع الإسلامي ، والتي ذهب ضحيتها الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، كما أضرمت ناراً مستعرةً بين الخليفة الجديد علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وبين واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، ورغم أن الحسن بن علي ، رضي الله عنهما ، حاول دمل تلك الجراح ، ووضع عليها البلسم ، فعادت الروح إلى الأمة ، ونهضت من كبوتها ، واستمر نهوضها ، وإن تعثرت في بعض المواضع ، وترنّحت في بعض المواقع ، وتعرّضت لسقطات .

الافتراءات :

استغلّ الفريق الأول ماحدث في المجتمع الإسلامي من سقطات ، وبدأ أفراده يوسعون الشقة بين شفتي الصدع ،

ويُبعدون بين ضفاف الجراح ، ويعملون على تعميقها كي يُشوّهوا صورة المجتمع الإسلامي ، ويُعطوا عنه صورةً سيئةً فيبتعد أهله عنه ، وينفر أبناؤه منه ، فيتركون أفكاره ، ويتخلّون عن مبادئه ، فيتهدّم تلقائياً من ذاته ـ حسب ظنّهم ـ حيث لا يعلمون أن هناك رعايةً من الله لهذا الدين ، الذي اختاره لعباده ، وتعّهد بحفظه.

سار هذا الفريق ببث أفكارٍ مخالفةٍ ، وطرح آراءٍ مغايرةٍ ، تُسقط هيبة الإسلام ـ في نظرهم ـ وتتهم أبناءه الذين حملوه وأوصلوه إلينا ، ليقع الشك فيه ، وتشيع رواياتٍ كاذبةً ، وتضع كتباً على لسان أعلامٍ تُؤيد مايريدون الذهاب إليه ، وكل هذا يهدف إلى الهدم من الداخل ، وتشويه الحقائق وتغيير المفاهيم والأفكار.

لقد بدأ هؤلاء المبطلون يطعنون بالصحابة ، ويفترون عليهم الكذب ، ولم ينج من أكاذيبهم إلا القلة القليلة زعموا أنها كانت على الحق ، وعرفت الواقع ، وصدقت بإيمانها ، والحقيقة أنهم قد وقفوا بجانب هذه القلّة حتى لا يُعلنوا تبرئتهم من الإسلام ، وكي لا يظهروا أنهم أعداء للإسلام بالهجوم على أتباعه جميعاً ، وفي محاولةٍ لتجزئة صف المسلمين

لإضعاف شأنهم ، وإمكانية هزيمتهم . ولمعرفة خطر هذه الفئة يجب أن يعلم المسلم أن الإسلام قد وصل إلينا عن طريق الصحابة فإن كانوا أصحاب هوىً ـ حسب اتهام المبطلين ـ فإن ماوصل إلينا من الإسلام أمر مشكوك فيه بل ومطعون به ، ويكفي هذا كفراً وضلالةً ممن يفتري مثل هذه الأكاذيب أو يدّعي مثل هذه الضلالات .

ومن الصحابة الذين نالهم طعن هؤلاء المبطلين الخلفاء الراشدون الثلاثة الأوائل ، وتسعة من المبشرين بالجنَّة ، والذين أكثروا من رواية حديث رسول الله ﷺ ، لكثرة ملازمتهم له ، وخدمتهم لنبيهم الكريم ، أمثال أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وغيرهما ، والطعن بهؤلاء الصحابة واتهامهم طعن بالحديث الشريف الذي هو المصدر الثاني لأصول الإسلام ، ومن هنا يبدو خطر مزاعمهم ، كما يُعرف الهدف الحقيقي لهم ، ومن يكمن خلفهم . وفي الوقت نفسه فإن من تبنّوه من الصحابة ، قد رفعوا من مكانته ، وغالوا في منزلته حتى جعلوه فوق مستوى البشر ، كما فعلت النصرانية بالمسيح عيسى بن مريم ، عليه السلام ، وهذا ليس من الإسلام ، فرسول الله ، محمد بن عبدالله ليس إلا عبداً من

عبيد الله يوحى إليه ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾[1]

ومن الأشواك التي زرعها هؤلاء المبطلون في طريق المسلمين تلك الروايات التي لفّقوها ، وزعموا أنها أحداث تاريخية ، وضمّنوها الكتب ، فاختلطت الأمور على القراء ، واستشهد بعضهم بتلك المزاعم ، وتبنّاها تعصباً لرأيه ، وبذا اسودّت بعض صفحات التاريخ . وأكثر ماوجّهوا سهامهم على أعلام الرجال ، والقادة ، والخلفاء ، وقلّت هيبة أولئك الأعلام في نظر من اطلع على تلك الروايات أو قرأ في كتب المبطلين ، أو استمع إليهم ، وصدّقهم ، ووضعت تلك الروايات في سجلات ، سمّيت كتباً تاريخيةً ، وصارت مراجع يرجع إليها كثير من الكتّاب الذين لا يعرفون الحقيقة ، ولا يدركون الأهداف المرجوة فاختلطت على الناس الأحداث التاريخية ، وشُوّه تاريخنا الذي أصبح يضمُّ صوراً باهتةً وأخرى سوداء . والغريب أن المرء العاقل يمكن أن يتنبّه إلى

---

(١) سورة الكهف ١١٠ .

كثيرٍ من هذه الروايات إذ فيها تضارب في الزمن ، ورجال كانوا قد ماتوا ، وآخرون لم يولدوا بعد ، وبعضها يرفضها العقل حيث لا تتفق مع إيمان المسلم ، وأخرى يمجّها الفكر للمغالاة فيهاوالكذب الواضح في ذكر أحداثها .

وقد دعمت تلك الروايات الباطلة بقصص أدبيةٍ ، وقصائد موضوعةٍ كنوعٍ من الأشواك التي وضعت في طريق المسلمين ، وربما صيغت على شكل مسلسلات ومُثِّلت كنوع من التاريخ والأدب وهذا مايجعلها تثبت في الذهن ، وترسخ في الفكر . وذلك في سبيل تأكيد صحة تلك الروايات وهذا ما أربك الناس ، وجعل بعضهم فعلاً يقبل الروايات المزعومة ، ويحفظ الشعر عنها ، ويردّدها ويستشهد بما نظم فيها من قصائد كدليلٍ على ثقافته ، فكان الناس يقبلون منه ما يقول ، ويحفظون فتتغير أفكارهم وتتبدّل مفاهيمهم الإسلامية دون شعورٍ ، ويمكن أن أُعطي نماذج على ذلك : دعانا قنصل النمسا الذي تعرفنا عليه في المسجد ، أخونا ، وجارنا الأستاذ محمد يوسف ماتوشكا إلى طعام العشاء في مطعم النخيل ، ولما دخلنا إلى قاعة الجلوس وجدنا المدعوين يتحدثون عن الصحابة من غير علم وينالون من بعضهم بحجة أنهم ليسوا من

الصحابة حسب زعمهم ، فاضطررت أن أتكلم وأُنهي الحديث ، وإذ بأحدهم يأتي إليَّ ، ويقول: يبدو أنك على اطلاعٍ بالتاريخ ، ولدي معضلة استعصت عليّ عسى أن أجد لها الجواب عندك ، فأجبته بأن اطلاعي قليل ، ولكن أرجو أن أجد لك الحلّ: تفضّل. قال: عندما توفي معاوية بن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، وحُمل إلى مثواه ، وأراد ابنه يزيد أن ينزل ليدفنه ، فقال: لا يمكن أن أنزل دون أن ينزل معي صديق أبي في حياته ، وصاحب الرأي عنده ، ورفيق دربه ، عمرو ابن العاص ، فنزل عمرو ، ونزل يزيد ، وفي القبر امتشق يزيد السيف ، وقال لعمرو البيعة هنا وليس فوق ، وإني لأرى اللحد يتسع لاثنين ، فما كان من عمرو إلا أن بايع.

قال السائل: ألم يحدث هذا؟.

قلت: لا ، والقصة غير صحيحةٍ.

قال: كيف؟ وقد قرأتها في عدة كتبٍ ، كما سمعتها من عددٍ من الرجال المثقفين الذين يُعدّون من أهل العلم والمعرفة.

قلت: كيف تكون صحيحةً ، وعندما توفي معاوية ، رضي الله عنه ، كان عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، قد مَضى على موته سبع عشرة سنةً. لقد توفي عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، سنة ثلاثٍ وأربعين ، على حين توفي معاوية ، رضي

الله عنه ، سنة ستين للهجرة .

استغرب السائل الأمر كثيراً، وسكت حائراً، غير أنه لم يقتنع لأنه كان على شبه يقينٍ من الخبر، وحسب ظنه أن القصة أمر مفروغ من صحتها، لذا. . .

قال: أليست هناك رواية أخرى عن وفاة الرجلين، أو عن أحدهما بصورة تُقبل فيها القصة؟

قلت: هل يمكن لإنسانٍ أن يموت في حياته الدنيا مرتين، أي تنتهي حياته مرتين؟ . ثم علَّقت على هذه الأخبار الكاذبة ، والهدف من وضعها في الأيام السابقة ، وتداولها الآن بين الناس ، دون تحقيقٍ ، ومن غير النظر في إمكانية وقوعها ، ودون الانتباه إلى إيمان الناس ، وإمكانية وقوعها من قبل رجلٍ مؤمنٍ .

وتأثّر صاحب الدعوة الأستاذ محمد يوسف من هذه القصة ، ومن نقلها من بعض الرجال من أصدقائه ، وظن أنها مقتصرة على عددٍ قليل ، وهي في كتبٍ نادرةٍ ومجهولةٍ. ومصادفةً كنا معاً والتقينا بأحد الذين يقرؤون ، ويطّلعون و. . . . فذكر له ماحدث . . . فإذا بالرجل يتمم لنا القصة فيقول: نعم ، وقد قال عمرو ليزيد: هذا الفعل ليس منك ،

وإنما هو من هذا ، وأشار إلى جثّة معاوية ، ويريد أن يقول له: إنك دون هذا المستوى في الدهاء والحنكة ، ولكن أباك الداهية قد علّمك هذا. وقد زاد ذلك من استغراب الأستاذ محمد يوسف.

ثم قمنا بعد صلاة يوم الجمعة مع الدكتور محمد أديب الصالح ، والأستاذ فاروق عبجي بزيارة أحد أهل الأدب ، وكان يشغل مدير جامعةٍ كبيرةٍ ، وتكلَّم الأستاذ محمد يوسف ، وتطرّق إلى تلك القصة المكذوبة ، ويبدو أنها كانت تشغل باله ، فما كان من الأديب إلا أن ذكر أبياتاً من الشعر نظمت في تلك الحادثة ، وقد قرأها بحماسةٍ ونبرةٍ تؤكد قناعته بها ، فقال له الأستاذ فاروق: وأنت قبلت هذه القصة أيضاً؟ وقال الدكتور محمد أديب الصالح : إن أدبكم قد شوّه تاريخنا بما أدخل عليه.

ودعينا مرةً إلى إحدى المزارع ، وتحدّثنا أثناء الطريق عن خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ، ولما وصلنا إلى المزرعة ، وجدنا كثيرين ، فجلسنا بجانبهم ، فعرّفنا الأخ عبد الله السيد على أحد الحضور ، وقال: إنه يرجع بأصله إلى خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ، فهو من الخوالد ، إنه الدكتور . . .

فيمكن الحديث عن الصحابي الجليل خالد بن الوليد ، رضي الله عنه .

قال الأستاذ محمد يوسف : يذكر بعضهم أن لخالد بن الوليد ، رضي الله عنه ، عشرات الأبناء ، على حين يذكر بعضهم أنه قد انقطعت ذريته .

قال الدكتور : إن الذي تكلم في انقطاع ذرية خالد بن الوليد هو مصعب الزبيري فقط ، ذلك بسبب الخلاف القائم بين آل الزبير ، وآل خالد ، وقد بدأ هذا الخلاف منذ أيام معاوية ، رضي الله عنه ، لما شعر بانحلال جسمه ، ودنو أجله سأل من حوله ، وكان أهل الشام يُقدّرون عبدالرحمن بن خالد : من يصلح لأن يتولّى أمر الخلافة بعدي؟ فأشاروا عليه بعبدالرحمن ابن خالد بن الوليد . فشعر بامتعاضٍ وضجرٍ ، إذ يريد أن يكون بعده ولده يزيد . وكان طبيبه معه ، وهو ابن أثّال النصراني . فوجدها فرصةً ليقضي على بعض القادة من المسلمين . هذا مع العلم أن عبدالرحمن بن خالد كان قد توفي سنة ستٍ وأربعين ، ومعاوية في أوائل عهده تقريباً ، ومن ناحية ثانيةٍ فإن آل الزبير وآل خالد كانوا على محبةٍ فيما بينهم ، وقد شهد المهاجر بن خالد بن الوليد حصار مكة مع عبد الله بن الزبير ،

رضي الله عنهما .

قال ابن أثّال لمعاوية: مارأيك لو أنهيت لك موضوع عبدالرحمن بن خالد؟ .

قال معاوية: لك خراج حمص مابقيت. وذكر الدكتور أشياء كثيرة نسيتها أنا ، إغراء لابن أثّال لقتل عبدالرحمن فوضع ابن أثّال السمَّ لعبدالرحمن في الحساء ، فمات. وتابع الدكتور موضوعاتٍ خرافيةً من هذا النوع ، ولم يكن المجلس مناسباً للرد عليه ، والدخول في متاهاتٍ حيث يبدو جهل الرجل ، وتعصّبه لرأيه ، ولم يكن الحضور على مستوى المعرفة المطلوب. وبعد الجلسة عرفت أن هذا الدكتور يعمل ـ مع الأسف ـ قاضياً. فاستغربت كيف يعالج الموضوعات؟ وكيف يصل إلى البيّنة ، وما يذكره واضح الكذب ، والبيّنة مفقودة ، ولا يوجد أية إشارة على إمكانية وقوع هذه الحادثة أو مثلها. فمتى كان الصحابة يقتل بعضهم بعضاً بالسم ، ويلجأ بعضهم إلى النصارى لتنفيذ مآربه الشخصية؟ ومتى كان الأمناء على الحديث النبوي المصدر الثاني للإسلام يفعلون هذا؟ ومتى كان كتّاب الوحي يلجأون إلى مثل هذه الخرافات؟ إن الطعن بالصحابة تشكيك بالإسلام وهو ما يلجأ إليه أصحاب

الباطل. ومن المؤسف أن هذه الروايات قد حوتها كتب جيدة على أنها روايات، وليس على أنها حقائق، إضافة إلى الكتب المرفوضة أصلاً، والموضوعة للطعن قبل كل شيءٍ من أجل التشكيك بالإسلام.

وضع الكتب:

ومن أشواك أهل الباطل وضع كتب في الأدب، ونسبتها إلى أحد الصحابة، أو الصالحين الأعلام، وذلك للاستدلال بها على آراء الواضعين، وإعطاء صورةٍ مشّوهةٍ عن الإسلام، وعن الذين حملوه، وعن التاريخ الإسلامي، وبهذا يكون تشكيك بالإسلام، ويمكن تبديل المبادىء، والمفاهيم لدى عامة المسلمين نتيجة ذلك، ومن أبرز ماوضع من الكتب، ونسب للصحابة كتاب «نهج البلاغة» الذي نسب لأمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، رضي الله عنه. وفيه فخر لا يدانيه فخر لابن عم رسول الله ﷺ، على حين كان هو يرفض ذلك ويأباه، بل يكرهه الإسلام، وينهى أن يثني الإنسان على نفسه، إلا في مواضع معينةٍ كالقتال ليشتدَّ من ساعده، وليحطم معنويات الكافرين، وليعطي المسلمين قوةً. وهذا مايعطي الدليل على أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون لعلي بن

أبي طالب ، رضي الله عنه ، الذي هو أسمى من أن يرفع نفسه فوق إخوانه .

كما أن هذا الكتاب يهاجم صحابة رسول الله ﷺ ، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدين الذين سبقوا علياً ، رضي الله عنهم جميعاً . وعليٌّ الذي هو أعفّ من أن يذكر لسانه أحداً بالسوء ، أو يطعن في أحدٍ فكيف بإخوانه الذين يعرف فضلهم ، ويشهد بحقهم ، ويفخر بأخوته لهم ، وقد صاهر أحدهم ، وسمّى أبناءه بأسمائهم . هل يمكن لأولئك الأبرار الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وحملوا الدعوة إلى العالم ، وفتحوا الدنيا أن يطعن بعضهم ببعضٍ لعرضٍ من أعراض الدنيا ، وهم الذين باعوها ، وعافوا عنها . فلو طعن أولئك الصحابة بعضهم ببعضٍ ، ونظر بعضهم إلى بعضٍ تلك النظرة التي يبرزها « نهج البلاغة » ، وذلك الطعن الذي يُؤكد عليه ، لما كانوا أهلاً لحمل الدعوة ، ولما خرجوا من المدينة المنورة ، ولما أحرزوا تلك الانتصارات العظيمة التي بوّأت أهلها تلك المكانة ، وأوضعت من شأن أعدائهم إلى تلك المنزلة التي ألزمتهم على الخضوع والاستسلام أو الانسحاب والفرار .
وهذا مايدلُّ على أن الكتاب قد نُسب إلى أمير المؤمنين ، علي

ابن أبي طالب ، رضي الله عنه ، كذباً وزوراً ، وهو من وضع الشريف المرتضى (علي بن الحسين بن موسى المتوفى عام ٤٣٦هـ) ، وربما قال بعضهم بل من وضع أخيه الشريف الرضي (محمد بن موسى المتوفى عام ٤٠٦هـ) والأصح هو الأول. ولننظر إلى تلك الخطبة المعروفة باسم « الشقشقية » التي يضمّها « نهج البلاغة » أي المنسوب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والتي فيها طعن بالصحابة من الخلفاء الراشدين الذين سبقوه ، وفيها من الكلام الذي لا يمكن لعلي وأمثاله أن يتفوّهوا به ، وهم أسمى من أن يتكلموا به ، أو ينزلوا إلى هذا المستوى المتدني من وصف بعضهم بعضاً ، ولنأخذ بعض الفقرات منها ، والتي حفظناها غيباً في المرحلة الثانوية : (أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى . ينحدر عني السيل ، ولا يرقى إليّ الطير ، فسدلت دونها ثوباً ، وطويت عنها كشحاً ، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيدٍ جذاء أو أصبر على طخيةٍ عمياء يهرم فيها الكبير ، ويشيب فيها الصغير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتين أحجى فصبرت وفي العين قذىً ، وفي الحلق شجىً أرى تراثي نهباً ، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها فلان بعده « ثم تمثّل

بقول الأعشى » :

شتان ما يومي على كورها ويـوم حيّـان أخـي جـابـر

فيا عجباً بينا هو يستقيلهافي حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته. لشدّ ماتشطر فرعيها فصّيرها في حوزةٍ خشناء يغلظ كلامها، ويخشُـن مسّهـا ، ويكثـر العثـار فيهـا ، والاعتـذار منهـا ، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خَرَم ، وإن أسلـس لها تقحّم. فمُنـي النـاس ، لعمـر الله ، بخبـطٍ وشمـاسٍ وتلّـونٍ واعتراضٍ. فصبرت على طول المدة وشدة المحنة. حتى إذا مضـى لسبيلـه جعلهـا فـي جمـاعـةٍ زعـم أنـي أحـدهـم ، فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم حتى صرت أُقرن مع هذه النظائر لكنني أسففت إذ أسفّوا ، وطرت إذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ، ومال الآخر لصهره مع هنٍ وهنٍ إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه. وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خَضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله ، وأجهز عليه عمله ، وكبت به بِطنته فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ ينثالون عليّ من كل جانبٍ حتى لقد وُطىء الحسنان ، وشقّ عِطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم. فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ، ومرقت أخرى ، وقسـط آخـرون كـأنهـم لـم يسمعـوا كـلام الله حيـث يقـول:

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1]. بلى والله لقد سمعوها ووعوها. ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها. أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظّة ظالمٍ ولا سغب مظلومٍ لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز)[2].

فمتى كان علي، رضي الله عنه، يسعى وراء الدنيا هذا السعي الذي يزعمه هذا المفتري؟ ومتى كان يفخر بنفسه هذا الفخر الذي يجعله لا يُقارن بصحابة رسول الله ﷺ، من الآخرين المبشرين بالجنة، والخلفاء الراشدين؟، ومتى كان يعد الخلافة تراثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء، وهو من أهل العلم؟

---

(١) سورة القصص ٣٨.

(٢) نهج البلاغة: جمع الشريف ـ شرح الإمام محمد عبده ـ دار المعرفة ـ بيروت.

إن هـذه الافتـراءات وأمثـالهـا هـي التـي أضـرّت بـالأمـة وتاريخها. وكان المفترون يعزون كلامهم افتراءً إلى أحد الصحابة والعلماء كابن عباس ، رضي الله عنهما ، عسى أن يكون كلامهم مقبولاً .

ومثل نهج البلاغة كتاب مروج الذهب لمؤلفه المسعودي الذي يفتري افتراءاتٍ قاتلةً ، لا يُصدّقها مسلم ، ولا يقبل بها عقل سليم مثل : (وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء ، وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها) . ويذكر قصصاً هي للضحك والتنـدّر وليسـت للـروايـة أو التـاريـخ ، وهنـاك دسـائـس اليعقـوبـي ، وروايـات كثيـرة فـي التـاريـخ شـاعـت وتنـاقلهـا الناس ، وما هي إلا للتهديم والطعن.

الشعر :

الشاعر واسع الخيال ، وموهوب بالفطرة على ذلك ، وكلما زادت موهبته زادت سعة خياله ، ولا يشذ عن ذلك شعراء الغزل الذين لايسمع أحدهم بامرأةٍ جميلةٍ إلا ويتصوّر نفسه بقربها ، ويغدو ويرزح معها ، ويلتقيان في الحدائق بين الورود المتنوعة والأزهار العطرة الفواحة ، وقد يُعرِّيها بخياله

فوق بساط العشب السندسي ، ويصف جسمها الأبيض فوق الخضرة وتحت حمرة الورد التي تعلوها خضرة أشجار الليمون ، وأشعة الشمس التي تخترق ذلك من بين أوراق الأغصان فتسقط على جسمها كدنانير ذهبية نسجت زينةً لها ، وهذا كله مجرد سماع اسم تلك المرأة الجميلة ، وهو لم يرها مدة حياته ، وقد تبقى تلك القصيدة إلى أيام يأخذها أهل ذلك الزمن على أنها كانت صحيحةً ، وكان اللقاء بين الشاعر والمرأة.

ومن هؤلاء الشعراء عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل المعروف الذي كان كلما حُدّث بجمال امرأةٍ تغزّل بها عن بُعدٍ ، ونظم الشعر عن جمالها بالخيال. وكلما سمع بإحدى فتيات قريش الفاضلات أعمل خياله ، وتصوّر نفسه وإياها بالحرم يطوفان أثناء الموسم حيث التقيا ، فتبعها ، غير أن الشاعر لم يستطع أن يبوح بشعره الذي نظمه إذ يُعرّض نفسه للخطر إسلاماً وثأراً ، فمن ناحيةٍ إسلاميةٍ كان ذلك العهد في صدر الإسلام ، والمجتمع متمسّك بالمبادىء والقيم الإسلامية ، ويرفض كل مايخالفه رفضاً يودي بحياة المبتدع أو المستهتر بقيمه ومبادئه ، ومن ناحيةٍ ثانيةٍ فالنفس العربية تأبى أي كلامٍ يمسّ

العرض ، أو يصل إلى الشرف . وكان عمر بن أبي ربيعة كلما جرى حديث أمامه عن سيدةٍ من سيدات قريشٍ عُرفت بالتقوى ، أو اشتُهرت بالحكمة ، أو وُصفت بالجمال أخذ يتغزّل فيها بسرّه ، ويتخيل لقاءاتٍ معها ، ولو كانت في أقصى الأرض ، ويتصوّر أنها جاءت إلى دياره ، فترصّدها ، وتعقّبها حتى تمّ له ما يريد من حديثٍ ، ولقاءٍ ، أو وعدٍ وخلوة. ولما كان لا داعي لقدوم تلك السيدات إلى الحجاز إلا في الموسم لذا كان الحج سبب ذلك اللقاء ، وكانت أماكن شعائره ميدان التتبّع والرصد ، وساحة الاجتماع والحديث. ولذا كانت فتياته كثيرات ، وتضمُّ فاضلات المجتمع من مكة ، والمدينة ، ودمشق ، والفسطاط ، مثل سكينة بنت الحسين ابن علي بن أبي طالب ، وعائشة بنت طلحة بن عبيدالله ، التي أمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، ونُعم الجمحية ، وفاطمة بنت عبدالملك بن مروان ، ورملة بنت مروان بن الحكم وكثيرات وكثيرات . ولكن من الذي يجرؤ أن ينال من واحدةٍ من مثل هذه السيدات ، لذا كان الغزل بهن خيالاً ، وتسجيله سراً لم يطلع عليه أحد . ويبدو الخيال في هذا النظم في أن الشاعر يتصوّر الفتاة قادمةً إلى الموسم وحدها ، كي تكون بعيدةً عن رقابة أهلها ، وليكون رفيقاً لها في دربها . وهذا الأمر لا يمكن

أن يحدث أبداً ، إذ لا يصح للمرأة أن تأتي إلى الحج إلا مع محرم ، بل لايمكن لها السفر وحدها ، ثم كيف تسافر ابنة خليفةٍ أو أميرٍ ، أو سيدٍ معروفٍ وحدها دون رفقةٍ ومن غير محرم ، فيتخيل ابن أبي ربيعة فاطمة بنت عبدالملك أنها قد جاءت إلى الحج فاستقبلها ، وقضى الموسم معها بلعبٍ ولهوٍ ، وحديثٍ وغزلٍ ، ولما انتهى الموسم ، لم يكن له من خيارٍ إلا أن يُرافقها إلى الشام كي لا تسير وحدها ، وإن جاءت وحدها غير أنه قد صعُب عليه أن ترجع وحدها ، أو أنه كان يريد أن يتابع عبثه ، أو يطيل مدته ، فلما وصل إلى دمشق لم يجد الخليفة بدّاً من أن يزوجه بها ، ماداما قد قطعا الطريق معاً منفردين. غير أن هذا لم يحدث كما هو معلوم ، وإنما تزوج بفاطمة بنت عبدالملك ابن عمها عمر بن عبدالعزيز كما هو معروف، وهذا ما يوضّح أن الأمر لم يكن سوى تخيّل .

غير أن أهل الباطل قد وجدوا هذه القصائد الخيالية فيما بعد ، فاعتمدوها ، وضمّنوها الكتب ، وروّجوها حتى شاعت في المجتمع ، تتناقلها الأجيال ، وصارت شبه حقيقةٍ. وبذا قدّمت صورةً سيئةً عن الواقع الإسلامي في عهده الأول، وأعطت دليلاً لأهل الهوى، والمبطلين،

والمغفّلين ، والجهلة أن المجتمع كان فاسداً ، وأن العهد الأموي لم يكن غير نقمةٍ على الإسلام لما كان يحدث فيه بمعرفة ومساعدة بل ومشاركة الخلفاء ـ حسب زعمهم ـ، وهذا ـ مع الأسف ـ ما يُدرّس في المدارس والجامعات ، بل والإسلامية منها نتيجة الجهل ، وترديد ما عرفه وتعلمه الأساتذة والموجهون ، فيعيدون على أسماع طلابهم ما تلقّنوه هم .

وإضافةً إلى هذا فما من فتنةٍ وقعت في المجتمع إلا ونظم المبطلون فيها الشعر لصالح جانبٍ معينٍ ، بل لفّقوا أخباراً كاذبةً ادّعوا أنها وقعت أثناء الفتنة ونظّموا الشعر فيها تأكيداً لها ، وضمّنوا هذا الشعر كتب الأدب التي أُلفت لهذه الغاية . مع ماوضعوا من شعرٍ ومن نثرٍ عن الأخبار التي لُفّقت بالأصل . وجاء المؤلفون والجامعيون فأخذوا من هذه الكتب على أساس الأدب ، وعلى أساس الفكاهة والظرافة فشاعت في المجتمع ، وأصبحت شبه حقائق تتناقلها الألسن ، وتُردّدها الأجيال دون تحقيقٍ ومن غير تمحيصٍ على أنها طرائف ، ولكنها كانت أشواكاً تخز المجتمع كل حينٍ ، فما تقع فتنة إلا ويتكلم بعض المتعالمين فيقولون ليس هذا بغريب ، فقد

حدث في صدر الإسلام كذا وكذا ، ووقع مثل ذلك في عهد صحابة رسول الله ﷺ ، ويضربون لذلك الأمثلة من الأخبار الملفّقة ، والوقائع الكاذبة ويستشهدون بما صيغ من زورٍ ومن كذبٍ .

وقد قلّلت هذه الأشواك من هيبة صحابة رسول الله ﷺ ، ورجال الصدر الأول ، وخفّفت من أهمية ما ينقله هؤلاء الرجال من أحاديث عن رسول الله ، أو من أخبار ، وإن كان هذا لم يتعد العامة وبعض المتعالمين الذين لا يعرفون الحقائق ، وإنما يظنّون بأنفسهم الثقافة باطلاعهم على مالُفّق من أخبار ، وما نُظم من كذبٍ ، وما سيق من أكاذيب . أما المسلمون الذين يعرفون الحقائق فقد داسوا تلك الأشواك بأقدامهم ، وهشّموها ، وإن لم يجتثوها بعد بإبراز أهداف واضعيها ومروّجيها .

أشواك المستعمرين

بدأ استعمار العالم الإسلامي بمحاكم التفتيش في الأندلس ، وارتكاب الجرائم حتى يخشى المسلمون على حياتهم فيتركون دينهم - حسب زعم الكفار - وحتى يخاف المسلمون من قدوم النصارى إليهم فيبتعدون عن الإسلام بل حتى لا يقبل عليه أحد ، ثم قام النصارى بطرد المسلمين من الأندلس عام ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) وملاحقتهم من قبل النصارى الإسبان والبرتغاليين في أول الأمر ثم من بقية نصارى أوربا. وقد خرج المستعمرون وراء المسلمين يتتبعونهم ، ويحتلّون ما أمكنهم احتلاله من ديار الإسلام ، وإن كانوا قد بدؤوا بهامش بلاد المسلمين تحت شعار تطويق المسلمين ومحاولة الإطباق عليهم من كل جهةٍ .

لقد خرج المستعمرون من بلادهم وراء هذا الهدف وكأنهم سوائم خرجت من حظائرها جائعةً تسرع إلى المرعى ، وتفسد المزارع بقضم أطراف نباتاتها ، وإتلاف سوقها بحوافرها ، وبأظلافها ، وتخريب وسائل ريّها بسرعتها وحركتها العشوائية ، وربما كان هذا العمل البهيمي أهون بكثيرٍ من عمل أولئك المستعمرين الذين انطلقوا وفي نفوسهم حقد دفين على

الإسلام وأهله ، وشرّ عظيم على كل من يقف في وجههم ، ولا يجمعهم مع السوائم إلا الانطلاق الحيواني ، والجوع الجسماني ، وهم بعد ذلك أضلّ سبيلاً بما يحملونه بين ظهرانيهم من حقدٍ يجعلهم يسيرون من غير هدىً ، ويتحركون دون وعيٍ ، يدفعهم الهوى ، ويعصف بهم الخواء الداخلي ، فيترنّحون كالسكارى وراء أطماعهم، وخلف أحلامهم ، وما يأملون .

الاعتداء :

لما وصل المستعمرون إلى الأراضي التي اتجهوا إليها كانوا مثل طفيلي جائعٍ حلّ على مائدة شهيةٍ ، فأخذ يغرف من هنا ، ويلتهم من هنا ، ويُوقع من هذا الطعام على ذلك الصنف فامتلأت معدته وأصابتها التخمة وما شبعت عينه، وهم قد بدؤوا بالنهب والسلب ، فما من شيءٍ وصلت أيديهم إليه إلا وأُخذ ، وما وقعت عينهم على شيء إلا وحازوه ، فامتلأت جعبهم وبيوتهم وما ارتوت نفوسهم ، فلما حصلوا على ماقدروا عليه، وتركوا أهل البلاد دون شيءٍ،التفتوا إلى الأراضي فتملّكوا أفضلها ، واستولوا على أخصبها، ولم يعرفوا تخطيطاً ، ولم ينظروا لمصلحةٍ إذ أعمتهم منافعهم ،

ولم يفكروا في مستقبل هذه البلاد ، بل ولا في مستقبل إفادتهم منها ، ولولا نظرة حكوماتهم في أوربا بإبقاء استغلال الأرض لانقلبت إلى خرابٍ . وإن كانت تلك الحكومات قد ساهمت أيضاً مساهمةً فعّالةً في التدمير والخراب ، حيث بدأت تعمل على نقل منتجات البلدان التي غُلب على أمرها إلى أوربا لاستهلاكها هناك أو للعمل على تصنيعها ، وتأخذها بأقل الأسعار مادامت لها الغلبة ، وبالتالي تنقل صناعاتها لتبيعها بأعلى الأسعار في البلدان المقهورة ، وتتحكّم بالثمن نتيجة الضرورة والحاجة إليها .

هذه الأشواك جعلت المسلمين الذين استُعمرت بلادهم يعيشون في حالةٍ من الفقر والضيق المادي ، يسعون وراء العيش ، ويلهثون وراء اللقمة ، وهذا ما أدّى إلى بُعدهم عن أمور دينهم ، وعدم تفكيرهم بالسلطة لتطبيق الشريعة ، ومن يفكر بهذا يُعدّ غريباً حتى هذا اليوم ، ولا لوقتٍ للتفكير فيه ، وحُصر اهتمامهم بالمعيشة ، والمحافظة على الأهل ، والانصراف إلى العمل الذي لا يكفي مهما بذلوا إلا أن يكون بطريقٍ غير مشروعةٍ ، لأن النهب ، والسلب ، والاعتداء أمر شائع من قبل المسؤولين المستعمرين . وحلّ بالمسلمين الذلّ

بسبب الفقر ، والبعد عن العلم لضيق الوقت أو لإشغاله بالكسب الضروري لاستمرار الحياة .

ونتيجة الحقد الذي يحمله هؤلاء الغرباء فقد عملوا على القتل في السكان كلما سنحت لهم الفرصة ، وعملوا على إذلالهم بأي وسيلةٍ من الوسائل ملكوها كنوعٍ من أنواع إطفاء نار الحقد . وعملوا على قهرهم والانتقامَ منهم . وعمل المستعمرون بصفتهم مسؤولين على إلغاء المدارس الإسلامية ، والكتاتيب الملحقة بالجوامع ، وحلقات العلم ، والدروس التي كانت تُلقى في المساجد ، وذلك في محاولة لإبعاد المسلمين عن العلم ، أما المدارس التي كانت تُشرف عليها الدولة فقد وضعت لها مناهج تتباين مع مبادىء الإسلام لذا رفض كثير من السكان تسجيل أبنائهم في هذه المدارس ، وفضّلوا الجهل لأبنائهم على تعليمهم ما يختلف مع عقيدتهم ، وبذا انتشر الجهل بين المسلمين فشعروا بالذلّ ، وشعر بعضهم بضعف المستوى ، وتأخر ركبهم عن بقية الأمم .

ولم يشعر الذين تسلّطوا على الحكم في بلاد المسلمين من المستعمرين الغرباء في يومٍ من الأيام أنهم مسؤولون عن

البلاد ، وأن من واجبهم العمل على إقامة مشروعاتٍ حيويةٍ ، أو نشر العلم ، أو مكافحة الأمراض ، بل كان همّهم أخذ الخيرات ، والعيش حياة البذخ والترف على حساب أهل البلاد ، لذا عشعشت الأمراض ، واستوطنت ، وعاش المسلمون المغلوبون على أمرهم فقراء، جهلاء، مرضى، أذلاء.

وأحسّ المسلمون بخطر هذه الحياة التي يحيونها تحت سيطرة أعدائهم ، وتحت تصرّفهم فتحرّك من بقي على شيء من العلم ، أو استطاع أخذ شيءٍ منه لظروفٍ خاصةٍ ، أو تحمّل المشقة ، ولعق المر ، وصبر على الشدة ليحصل على بعض المعرفة ، تحرك هؤلاء وحركوا المسلمين فاهتزت الأرض تحت أقدام المستعمرين، لكن ضعف المسلمين ، وجهلهم ، وذلّهم ، وفقرهم ، ومرضهم ، وقلة إمكاناتهم ، وتفرُّق كلمتهم ، وانهيار معنوياتهم ، مع قوة المستعمرين ، وارتفاع معنوياتهم ، وحرصهم على المحافظة على مصالحهم ، وترفهم على حساب غيرهم ، وتعاون المستعمرين بعضهم مع بعضٍ ، بل وشراء بعض ضعفاء النفوس من السكان ، وهذا كله قد جعل كفة الغرباء ترجح

على كفة السكان ، وينتصرون ، ولما حصل المستعمرون على الفوز اتخذوا وسائل الانتقام جميعها حقداً ، وتشفّياً ، وثأراً ، وإرواءً للغلّ ، وقد صبّوا جام غضبهم ، وحقدهم على العلماء المسلمين بل على الملتزمين بالإسلام جميعاً ، وعدّوهم هم قادة الحركات ، ودعامتها وعناصرها الأساسية . لذا كانت تذهب نخبة السكان إثر كل حركةٍ تندلع ، وبعد كل حادثةٍ تُفتعل ، ومع كل اتهامٍ تدّعيه السلطة .

على الرغم من كثرة الأحداث الفاجعة التي حلّت بالمسلمين ، والنائبات المؤلمة التي نزلت بهم، والأشواك القاسية التي وضعت في طريقهم والتي تعثّر فيها بعضهم لاشك ، إلا أن هؤلاء المتعثّرين كانوا قلّةً رغم دورهم الخطير الذي قاموا به أو الذي سيؤدّونه في المستقبل ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يعرقلوا مسيرة المجتمع الإسلامي ، إذ استعلى المسلمون بإيمانهم ، ومع كل ما حلّ بهم بقوا يعدّون أنفسهم هم الأعلون ماداموا مؤمنين، وأنهم على الحق ماداموا على العقيدة الصحيحة والدين القويم، وأن مصيرهم الجنة ، وأن تحمّلهم الأذى ، وصبرهم على الظلم إنما هو في ميزان أعمالهم الحسنة ، وسينالون جزاءهم على ذلك الجنة ، هذا

مع قهرهم ، والعمل على إذلالهم، ومحاولة النيل منهم ، وأن أعداءهم المسيطرين عليهم من المستعمرين النصارى هم في الأذلين ، كفار يعبدون بشراً من دون الله ويُشركون مع الله عباداً له ، وأنهم معتدون ، وما جاءوا إلى ديار الإسلام إلا حقداً وغيظاً ، ودعماً لمن حارب الله ورسوله ، وأن مصيرهم النار ، وبئس القرار ، مع أنهم قاهرون ، غالبون . كما اقتنع أكثر المسلمين أن ما نزل بهم لم يكن إلا لإهمالهم أمر دينهم ، والالتفات إلى الدنيا ، وما صاروا إليه لم يكن سوى تربيةً لهم، وتنبيهاً ليرجعوا إلى دينهم الذي فيه عزّتهم ورفعتهم ، واستخلافهم في الأرض ، وإعمارها كما هو مطلوب منهم .

أمام هذه القناعة لدى المسلمين، وتلك النظرة لأعدائهم ، حيث بقوا ينظرون نظرة شذرٍ للغرباء الدخلاء في ديار الإسلام رغم أنهم لا يستطيعون عمل شيءٍ ، وإن كانوا يتحيّنون الفرص للنيل منهم ، لذا بقيت كلمتهم واحدةً بالنسبة إلى الأعداء ، ونظرتهم واحدةً ، إلا من تعثّر بالأشواك التي وضعت على الدرب ، وتعرقلت رجلاه بالحراب التي صُنعت فسقط ، سقطت نفسه في عينه ، ونظر إلى أعدائه الحقيقيين نظرة رفعةٍ وسيادةٍ ، وأنه إن تبعهم تحضّر وتمدّن ، وإن سار في ركاب

أمته بقي في مراتب الحضارة الدنيا لا تسمو نفسه ، ولا ينال شيئاً ، غير أن هؤلاء المتعثّرين كانوا قلّة ، ويمكن أن نقول: إنهم أصحاب الشهوات ، وأهل المصالح ، ومن أُصيب بعقدة النقص ، أو من كانت نفسه وضيعةً بالأصل . ولما كان الساقطون على الأشواك أو المتعثرون بها قلّة فقد رأى المستعمرون أن يُكلّفوا هؤلاء الساقطين بتأدية مهمّتهم مكانهم ، وينسحبوا هم من الميدان إذ يوفّرون على أنفسهم الجهد ، وتكاليف الجند الذين يعملون على الحفاظ على بقاء المستعمرين في مستعمراتهم ، وحمايتها من أهلها ، وتحقيق الأمان للمتسلّطين الغرباء من السكان وفي الوقت نفسه تتفرّق كلمة الرعية بعد وحدتها إذ يُؤيّد بعضها أعوان المستعمرين الذين سُلّطوا عليها مع التبريرات بأنهم من أبناء الأمة ، وأنهم يسيرون تدريجياً بالرعية نحو الخير ، وأنهم أفضل من الغرباء ، والواقع أنهم ليسوا بأفضل من سابقيهم لأنهم ظلّ لهم، ويسيرون على خُطاهم ، وبعيدون عن عقيدة الأمة ، وما هذه التبريرات إلا سعيٌ وراء المصالح ، والحصول على المنافع . ويُعارض ذلك آخرون تحت شعار أن الخط الذي يسير عليه هؤلاء الأعوان ليس من منهج الأمة ، وأن الفلك الذي يركبونه إنما يمخر عباب مياه الأعداء ، ويتحرّك تحت

إشرافهم . وبذا تتفتت وحدة الشعب الذي كان أفراده جميعاً يعملون صفاً ضدّ الأعداء وتسلّطهم . لذا خرج المستعمرون وسلّموا أعوانهم مكانهم . وزعم الذين خرجوا أنهم قد تركوا البلاد بإرادتهم ورغبةً منهم لخير أهلها ، وبعد أن أخذوا بأيديهم إلى شاطىء الأمان ، والواقع أنهم لم يخرجوا إلا مصلحةً لهم ، وبعد أن أعطوا مقاليدهم إلى من يمثّلهم فكأنهم لم ينسحبوا إذ بقيت سياستهم تُنفّذ ، ومخططاتهم تُطبّق ، وأسلوبهم النصراني والتنصيري يُتّبع . ولم يكن هؤلاء الأعوان إلا من الذين تعثّروا فسقطوا تحت أقدام الدخلاء وفي أحضانهم ، وضمن سياستهم ومنهجهم أو من آخرين أظهروا الإسلام ، وبقوا على عقيدتهم الفاسدة السابقة ، وخاصةً اليهود ، وذلك ليمثلوا دوراً يلبسوا فيه على المسلمين دينهم ، وإذا ما وصلوا إلى رأس السلم ، وهو ما يعمل الأوربيون النصارى على حملهم وتوصيلهم إليه ليفكّوا عرى الإسلام عروةً بعد عروةٍ إن استطاعوا ، وهم يُعلنون تمسّكهم به ، وارتباطهم به ، والدعوة له، بل وتشدّدهم في ذلك، ذلك قولهم بأفواههم ، غير أن أعمالهم تُخالف ذلك، ليرى المراقبون إسلاماً مشوّهاً عمل الدخلاء على إعطاء العالم غير صورته الحقيقية. وربما يكون هؤلاء الذين تظاهروا بالإسلام

قد مضى عليهم مدةً طويلةً من الزمن يعيشون تحت هذا الستار ، ويرسمون له ، وينشئون أبناءهم على ذلك ، وقد يكون تظاهرهم حديثاً بعد تغيير الموطن ليجهل الناس الأصل ، ولا يرتاب الذين في رؤوسهم عقول .

أشواك الأعوان

إن كان المستعمرون قد انسحبوا من ساحات الأراضي التي سبق لهم أن استعمروها إلا أن الأمر لم يختلف كثيراً على المسلمين، إذ بقيت مناهج المستعمرين هي المعمول بها فالسياسة ، والاقتصاد ، والتعليم تسير كلها وفق ما رسمه المستعمر ، بل إن لغة الغرباء التي فرضت على السكان قد بقيت تُدرس ، وتستعمل أحياناً ، ولم يستطع الناس التخلّص منها لأن المشرفين الجدد يتبنّونها ، وكذلك فإن الحياة الاجتماعية للمتسلّطين قد غدت تقليداً لعيش النصارى في السفور ، والاختلاط ، وتعاطي ما حرّمه الله ، بشكلٍ مفضوحٍ أحياناً ، وبصورةٍ مستورةٍ عن أعين الرعية أحياناً أخرى . فالعهد الجديد ليس سوى تتمةً لسابقه ، وهذا في أكثر الأمصار ، وليس فيها جميعاً .

أخذ المصلحون ينتقدون ما يجري على الساحة ، وإن كان بعض الرعية والعامة يرون أن الإصلاح يأتي تدريجياً ، ويصعب التحوّل فجأةً ، فالأمر يحتاج إلى مدةٍ ، وفي الوقت

نفسه كان هناك من يبرر ما يجري ، تحت شعار المعاصرة ، وضرورة المسايرة بالنسبة إلى الدول الكبرى ، ولم يكن هذا التبرير إلا من أصحاب المصالح ، وبطانة الرعاة الذين يستفيدون من مواقعهم ، وصلاتهم .

لم يكن الأعوان جميعاً على مستوىً واحدٍ من الخضوع ، ولا على درجةٍ واحدةٍ من التقليد ، ولا على صورةٍ واحدةٍ من البعد عن عقيدة الأمة والمجتمع الإسلامي ، فالنفوس تتباين ، والطباع تتفاوت ، والنظرة إلى الحياة تختلف من إنسانٍ إلى آخر . كما أن كبت الحرية والوقوف في وجه المنتقدين على أشكالٍ غير متساويةٍ بين مصرٍ وآخر . لذا كانت الدول الاستعمارية تقبل تصرّف بعضهم ، وترفض تصرّف آخرين ، وإن كانت تسكت عن سلوك عددٍ منهم في سبيل البقاء على الوضع الراهن ، والإفادة الاقتصادية والعمل على تنفيذ السياسات الإفسادية بشكلٍ هادىءٍ وتدريجي ، مع إعطاء روح الحياة أحياناً بوسيلةٍ من الوسائل ، كضرب الخصوم ، أو إبراز مساوىء المعارضة حقيقةً أو إشاعةً ، أو افتعال حادثٍ . ورغم ما في هذه الأوضاع من مساوىء إلا أن الأشواك كانت لينةً لم تقو سوقها بعد ، ولم تجف ، فيمكن

كسرها ، كما يمكن تخطّيها فنشأت في هذه المدة حركات إسلامية ، وانطلقت دعوات ، وإن كانت دون المستوى المطلوب نتيجة الإمكانات الضعيفة ، والوعي المحدود .

ولكن جاء بعد الحرب العالمية الثانية التنافس على مناطق النفوذ بين الدول الكبرى التي اتخذت الانقلابات العسكرية إحدى وسائلها الرئيسية ، فتحكّم العسكريون بالشعوب، ونفّذت الدول الكبرى سياستها عن طريق هؤلاء المتسلّطين ، حيث كُمّت الأفواه ، واغتيلت الحريات ، وانصبّ الهجوم على الحركات الإسلامية ، المتميزة وعلى الدعاة ، والملتزمين عامةً ، واستعملت وسائل الإعلام الداخلية والخارجية لرفع الطغاة وإعطائهم صفة الإخلاص ، والصدق، والوطنية وكل صفةٍ تعطي مضموناً غير واقعها ، وفي الوقت نفسه أُشيعت الشائعات ، وبُثّت الدعايات ضد الملتزمين من المسلمين . وكلما ظهرت للمسلمين بادرة قوةٍ افتُعلت حادثة ، فحلّت بالمسلمين نكبة . فغاب قادة في غياهب السجون ، واختفى آخرون عن ظهر الأرض ، ونزل الأذى بمن بقي ، فالإذلال ، والاضطهاد ، والملاحقة، والإفقار بالوقوف بوجه العمل، والدعاية كلها وسائل تنال

المسلمين أينما كانوا ، وأي صفةٍ حملوا .

ومع الحكم العسكري تُعلن الأحكام العرفية التي تُسهّل على الطغاة تنفيذ ما يرون من أحكامٍ حيث لاحاجة إلى محاكم ، ولا إلى محامي دفاع ، وعلى الجميع الرضوخ لما يصدر ، والرضا بما تمّ وإلا فالسيف يحصد من بقي من معارضين ، أو بالأصح من الملتزمين ، ومن ذويهم . وتبقى هذه الأحكام العرفية قائمةً مادامت توجد معارضة ، أو حركات إسلامية ظاهرة ، وربما تُعلن ، وتتوقف ، ثم تعود إلى الظهور إن ظهر ضعف عند العسكريين أو بدا خوف عند أعوانهم الذين يمثّلون السلطة التنفيذية .

من هؤلاء العسكريين من بطش بالإسلاميين ، وضرب الحركة الإسلامية ضربةً قاصمةً أسكتتها إلى حين ، وقد وجد هؤلاء العسكر دعماً كبيراً وتأييداً واسعاً بشكلٍ هادىءٍ ، وربما أظهرت الدول الكبرى النصرانية خلافها مع هذه الأنظمة لتحصل على ثقةٍ من رعيتها على أنها مخالفة للأعداء ، والواقع أن ذلك لم يكن سوى تمثيلٍ ، وشائعات من وسائل الإعلام ، وقد يُؤدّي هذا الخلاف الظاهري بين بعض الأنظمة العسكرية وبين الدول الكبرى إلى صدامٍ حقيقي يُؤدي إلى ضياع جزءٍ من

الشعب المسلم ـ وهذا هدف من الأهداف ـ كما تتهدّم اقتصاديات البلاد ـ وهو هدف آخر ـ كما تتحطّم القوة العسكرية لذلك المصر ـ وهو هدف ثالث ـ ويتمكّن الأعداء من القيادة العسكرية وأعوانها، لكنهم لايمسّونها بسوءٍ بل يدعمونها سرّاً ، ويهاجمونها علناً ، ويتركونها ترعى في البلاد والعباد ، مع أنهم يعدّونها مجرمة حربٍ ، إذ لم تكن في وقتٍ من الأوقات هدفاً لهم، بل ضالعةً معهم، وتعمل ضمن مخططهم ، وتُنفذ السياسة المرسومة تماماً ، وإنما كان الهدف، الشعب المسلم، والقوة العسكرية، واقتصاد البلاد، وقد عملت القيادة العسكرية الراعية لشؤون البلاد مع الأعداء لتحقيق هدف الدول الكبرى النصرانية .

ولكن من العسكريين من لم يستطع توجيه الضربة القاضية للحركة الإسلامية إما لطبيعته ، أو لضعفه، أو لانتشارها الواسع بين الرعية وارتباطها بالمجتمع ارتباطاً عضوياً ، فيبقى الصراع قائماً في البلاد ، ويستمر تحرّك الإسلاميين ، وهنا تتلقى القيادة العسكرية الدعم المادي ، والعسكري ، والتوجيه الدائم ، وإعطاء المعلومات الخاصة بالمعارضة وذلك من الحكومات كافةً سواء أكانت نصرانيةً أم غير ذلك من

أشقاء وأصدقاء وذلك لتثبت القيادة أمام البركان الذي يغلي في الداخل ، والأقوى من ذلك كله وسائل الإعلام التي تدّعي ادعاءات كاذبةً فتصف الإسلاميين بالإرهابيين ومثيري الفتن ، والذين يسعون للسلطة بالقوة ، مع أن القيادة هي التي كانت تتحرّش بهم ، وتُثيرهم كي يتحرّكوا من أجل القضاء عليهم ، وإيجاد سببٍ لإبادتهم ، وكلما هدأت الأوضاع في البلاد أثار الأعداء الإحن ، وحرّكوا الفتن ، ليعود القتل بالمسلمين، وتتجدد الملاحقة، وليرسخ في نفوس الناس أن المسلمين إرهابيون، وأنهم سبب البلاء ، ومصدر الداء ، وأساس الفوضى ، وأن الهدوء لا يعود ، والاستقرار لا يتم إلا بإخضاعهم. غير أن هذا ترفضه النفوس الأبيّة ، وتأباه الطباع العادية ، إذ أن الطغاة هم الذين يتحرّشون بالمسلمين ، وكيف لايثور من أُثير ؟ وكيف لا يتحرّك من قُتل أبوه ، ولوحق أخوه ، واعتدي على أهله؟ وكيف لايندفع من أُهين من غير سببٍ ، وأُذلّ دون داعٍ ، ومُنع العمل دون ذنبٍ ؟. وأي مؤمنٍ لايتمعّر وجهه وقد انتهكت حدود الله ؟ وأي شريف لا يتأثر ، والمفاسد على قارعة الطريق ؟ وأي حرٍّ يمكنه أن يرى الظلم ويسكت ؟ فالطغاة هم المعتدون والظالمون ، ولكن وسائل الإعلام تغيّر الحقائق ، وتبدل الوقائع ، وتدّعي الباطل لغاية

في نفس مُوجّهيها ، ونفس الذين وراءها من الدول النصرانية الكبرى ووسائل إعلامها ، ونفس اليهود الذين يحرّكون هذا .

ولم يقم العسكريون بحركاتهم لتغيير نظامٍ فاسدٍ كما يدّعون ، أو لإصلاح وضعٍ غير سليم وإنما من أجل تسلّم السلطة ، والقيام بمهمات لم يستطع نظّام فيه شيء من الحرية أن يقوم بها، ولتجاوز الحدود بالتنفيذ السريع، والتحقيق العاجل لما يعملون له تحت مظلّة الضغط ، والحكم العسكري ، والأحكام العرفية، وليبقوا على رأس السلطة ماداموا قادرين على هذا ، لذا يسعون لاستمرارية العمل الذي قاموا به ، وهو تنفيذ السياسة المرسومة من الخارج. ونرى أن أكثرهم باقٍ في موقعه عشرات السنين رغم ادعاء النظام الجمهوري ، وأن التجديد لمرحلةٍ جديدةٍ لا يحتاج إلى أكثر من يومٍ من التمثيل يوافق على البقاء ، وتقوم البطانة بتمثيل الأدوار ، وذلك مدة الحياة. أما الذين ضعفوا عن تأدية دورهم بشكلٍ حسن فيمكن استبدالهم بآخرين بأسلوب من الأساليب ، قد يكون بحركةٍ كالتي سبق له أن قام بها ، وقد يكون بالانتهاء منه و . . . ومن يأتي يكرر الدور .

ومن أشواك الأعوان ما تفعله بطانتهم الفاسدة التي تُغيّر

الحقائق ، وتفتري الكذب ، وتقوم بالدعايات للطغاة ، وتعلم أنها كاذبة مفترية ، وتُزيّن للمتسلّطين أعمالهم كي تحصل على بعض الفوائد ، وترتكب كثيراً من المفاسد التي يندى لها الجبين ، وتبقى في منأى عن العقوبة نتيجة المركز الذي تحتلّه ، وتُعاني الرعية أشدّ المعاناة من هذه الطغمة ، وهذا ما يجعل بعض الناس يتقرّبون منها ليصلوا إلى شيءٍ من حقوقهم ، وهذا ما يزيدها طغياناً وكفراً ، وفي الوقت نفسه تكون قد وقعت زمرة جديدة في شباكها ، وضُمّت إلى جانب البطانة ، وزادت الأشواك في درب المسلمين، ومع الزمن تكثر الأشواك ، وتقلّ الورود . . .

ومع كل هذه الأشواك في أيام الأعوان إلا أن الحركات الإسلامية قد تخطّتها ، والدعاة قد داستها وإذا كانت قد سكنت حتى حين إلا أنها انصرفت إلى البناء والتكوين ، وزيادة الثقافة، والوعي ، وتثبيت العقيدة، وكانت لاتظهر إلا إذا تحرّش بها الطغاة ، أو تعرّض لها البغاة ، وقد انتبه إلى ذلك مراقبو الأعداء من الصليبيين واليهود ، فعملوا بواسطة أعوانهم على جرّ الدعاة ، والحركات الإسلامية عامةً إلى معركةٍ غير متكافئةٍ فانجلى الأمر ، وكانت الأحداث الداخلية

الدامية في كثيرٍ من الأمصار ، فتكالبت الدنيا على المسلمين ، وكانت التّهم ، والإشاعات ، والدعايات ، وإعطاء الأسماء والصفات غير المرغوبة وكان التحريض ، والدعاية للقتل .

الأشواك الدّوليّة

لما رأت الدوائر الصليبية واليهودية صلابة المسلمين الملتزمين، ومتانة عودهم وقوة إيمانهم ، وإمكانية تحملهم ، وصبرهم على الشدّة ، وتفاعل مجتمعاتهم معهم حيث لا يزال للعاطفة الإسلامية أثرها ، وإن تراخى الكثير منهم في أمور دينهم ، فالعامة أصحاب عاطفةٍ ، والناس جميعاً لاتزال الحياة الروحية عندهم ذات قوةٍ ، إضافة إلى أن الخلق يميلون إلى الحق، وهو ما عليه المسلمون ، ويعطفون على المظلوم ، ويقفون بجانب صاحب المبدأ ، ويحمون من عُرف بالاستقامة ، ويدعمون من اشتهر بالنجدة ، وهذه هي صفات المسلمين الملتزمين قوام رجال الحركات الإسلامية، وجماعات العلماء والدعاة هذا بعامة والشذوذ نادر ، والنادر لا يقوم عليه حكم، ولا يُؤخذ منه مُؤشّر . لما رأت دوائر الأعداء هذا نتيجة دراساتها الميدانية ، واستقراءات المجتمع ، وملاحظة ما يجري على الساحة في كل موقعٍ تقوم فيه دعوة إسلامية، عندما رأوا ما رأوا جمعوا كيدهم ، وأعملوا مكرهم ، ودعوا دعم شياطين الإنس والجن ،

فوصلوا إلى أخبث الوسائل ، وأقسى أنواع الأشواك ، وأخذوا يضعونها في دروب المسلمين .

أشواك الأدعياء :

من أساليب المكر التي وصل إليها الأعداء إدخال عناصر كافرةٍ ، ماكرةٍ في صفوف المسلمين تظهر الإسلام ، وتنتقل إلى خارج موطنها كي لا تُعرف ، وتُظهر النسك، وتسير في ثياب الواعظين، وتُبدي التمسّك بالإسلام ، وتدّعي الانتماء إلى آل البيت، أو إلى إحدى القبائل المعروفة، وتُمدّ بالمال الوفير ، لتُنفق ، لتكون بين الوجهاء ، ثم لتصل إلى الزعامة ، كما أن المال والكرم يمنع الناس من السؤال عن الأصل، فمن نالت يده ، وأُطعم فمه عميت عيناه. ومن وصل إلى الرئاسة ادّعى ما يهوى وحدّث بما يرغب ، وذكر ما يشاء ، وانتسب إلى من يريد ، وصدّق الناس كلامه ، وأُمّن على حديثه . وإذا حقق ما خطط له ، وبرز ، وانتصر على خصمه ، ودوّن له كل الذي تهفو إليه نفسه، بل زيد له على ذلك، وكثر حوله المتزلّفون، وطلاّب الحاجات ، وسجلّوا له وزادوا ، وغالوا ، وتضيع الحقيقة ، ويمكن بعدها ذر الأشواك ، ووضع الحراب ، مع أمان العقبات ، مادامت الحقيقة قد

ضاعت، واختفت معالم الادعاء .

كان اليهود يشكلون أهم عناصر الادعاء ، وإن كانوا قد مارسوا هذا المكر من وقتٍ مبكرٍ إلا أن آثاره كانت تظهر ، كما لم تكن هناك وسائل إعلام ماكرة وقوية تُساعد على التضليل ، وتعمل على إخفاء الجرائم ، وقد نشط اليهود في الآونة الأخيرة ، ودعمتهم سلالات سابقيهم الذين توارثوا هذا الادعاء أباً عن جد ، وحافظوا على ذلك رغم مرور الأيام ، وتقادم العهود . كما دعمتهم الدول النصرانية الكبرى ، والدوائر الصليبية لإنجاح مخططاتها ، والعمل على تحقيق أهدافها . ومتى وصل المرء إلى رأس السلم ، وارتقى القمة سهل عليه التدوين ، والادعاء بل وإعطاء شهادات الإيمان ، كما أصبح من الميسور عليه زرع الأشواك وتنميتها ، والطعن بالحراب ، والناس في غفلةٍ عما يجري ، لا يمكن أن يدور في خلدهم أن المكر يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة ، بل لا يمكن أن يخطر في بالهم أن الثعلب يرتدي ثياب الواعظين ، والذئاب تلبس جلود الخراف ، وأن من يتبنّى العمل ليس من أهله وإنما هو أشدّ أعدائه ، وأن عمالقة المعرفة هم رأس المغفّلين .

وقد كانت هذه الأشواك أقسى ما لقيه المسلمون في تاريخهم وذلك لأنها زُرعت بعد تحليلٍ دقيق للتربة ، وسُقيت بوقتٍ منظّم ، ورُعيت من قبل إخصائيين، وتعهّدها أصحاب إمكاناتٍ وطاقاتٍ ، إضافةً إلى أن الزرّاع كانوا يحتلّون مواقع تُؤهّلهم القيام بالإشراف، وإيذاء كل من يتعرّض لتلك الأشواك بالضرر ، فكان ذلك كافياً لتدمى منها أقدام المسلمين وأجسامهم.

أشواك الدول الكبرى :

إن الدول الكبرى النصرانية وإن لم تكن تتبنّى النصرانية كديانةٍ إلا أنها تُعادي الإسلام عداءً واضحاً وتحمل حقداً عليه كعقيدةٍ وعلى أهله . ومن هذا المنطلق فإنها تقف دائماً في الصف المعادي له ، وتحتضن وتدافع عن كل عدوٍّ للإسلام سواء أكان من أهله أم من غيرهم ، ويكفي معرفة احتضان هذه الدول للفرق الضالة الخارجة عن الإسلام بل الأفراد منهم، وتقديم المساعدات والدعم لهم، وتُحاول إظهارهم وإعطاءهم الصفات الطيبة، وأنهم أصحاب رأي وفكرٍ فيجب احترامهم ، وتقديم الحماية الكافية لهم ، وتدّعي أن الحرية غير متوفّرة في بلادهم نتيجة الجمود والتعصّب . ولننظر إلى

استقبال رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بيل كلينتون لذاك المارق المدعو سلمان رشدي الذي خرج على مبادىء الإسلام ، وطعن فيها بأسلوبٍ فلسفي. وقد خرج الرئيس الأمريكي على التقاليد السياسية، واستقبله تكريماً له ، ورفعاً لشأنه مادام عدواً للإسلام .

وإذا كانت هذه الأشواك تصيب شعور المسلمين فقط دون أن ينالهم منها أذىً جسدي تدمى منه أجسامهم ، إلا أن هناك أشواكاً تضعها الدول النصرانية الكبرى أمام المسليمن تصيب قلوبهم ، وأكبادهم فتدمى منها ، وتصيب عيونهم فتجعلها تذرف دماً ، ذلك أنها تقف دائماً ضد المسلمين مع أية مجموعةٍ كانت كما هي حال موقفها مع الهندوس ضد المسلمين في كشمير ، وأرجاء الهند جميعها ، ومع الوثنيين في السودان ، بل هي ضد المسلمين في أي مكانٍ كانوا ، ومع أي جماعة كانت.

أشواك الاتهام:

لما كانت الدول الكبرى النصرانية ضد المسلمين في أي موقعٍ كانوا فيه، وعلى أي حالٍ هم ، وسواء أكانوا على حقٍ واضحٍ جليٍّ أم على غير ذلك، وسواء أكانوا غالبين أو مغلوبين

فإذا كانوا قد انتصروا قاتلتهم، وإن كانوا مقهورين ساهمت في قتالهم ، وعملت على إبادتهم، ولما كان الأمر كذلك فإن هذه الدول النصرانية تعمل جاهدةً لاتهام المسلمين اتهاماتٍ باطلة لتبرّر موقفها ضدّهم ، ولينظر الناس إليهم نظرةً غير طيبةٍ ، وليقفوا ضدّهم مادياً ومعنوياً ، وليحقّق النصارى هدفهم الأصلي، وهو إبعاد الناس عن الإسلام بإظهار أهله بمواقف غير طيبةٍ ، ومن هذه الاتهامات الإرهاب ، والتطرّف ، والتخلّف والتعصّب ، والرجعية والشراسة و . . . وهذه الاتهامات أمر طبيعي لأنها تأتي من عدوٍّ ، ولا تشكّل أشواكاً في طريق المسلمين إلا أنها ذات خطرٍ كبيرٍ حيث يتلقّفها الأعوان ويردّدونها ، وتصل إلى المغفلين ، وما أكثرهم في مجتمعنا ، وهنا تصبح أشواكاً .

هذه الاتهامات لا تزيد المجتمع النصراني ولا اليهودي حقداً على المسلمين ، لأنه قد بلغ عندهم الذروة ، ولا مكان لمزيدٍ ، غير أنها قد تُسبِّب حقداً لدى المجتمعات الأخرى التي لا تعرف شيئاً عن المسلمين ، كما لاتعرف أحقاد اليهود والنصارى على كل ما سواهما وخاصةً على المسلمين. ومع هذا فإن المسلمين ـ ولله الحمد ـ لا يحملون حقداً على أي

مخلوقٍ في الدنيا بل يريدون الخير للناس جميعاً ، ولكن في مثل هذه الحالة قد يتولّد لديهم كرهاً إلى الذين كانوا مبعث هذه الاتهامات ولا يتعدّاهم أبداً ومع رخاوة هذه الأشواك واخضرارها وعدم جفافها إلا أنها تشكل شجىً في الحلق ، وقذىً في العين مهما حاولنا تجاوزها والابتعاد عنها .

أشواك المغريات :

لما كانت النصرانية تحمل حقداً على المسلمين ورثته خلال التاريخ من تراجعها أمام الإسلام عقيدةً وفكراً ، وانسحابها من مناطق كثيرةٍ كانت تبسط نفوذها عليها ، وتنشر ما تحمله من أفكار ، وكان هذا الانسحاب كله لمصلحة الإسلام الذي حلّ محلها في تلك الديار التي تراجعت عنها ، وإذا بقيت النصرانية تدافع عن كيانها الذي بقي لها إلا أنه دفاع خاسر ، كما أنها لاتستطيع أن تقف في عقيدتها المحرّفة ، والتي أصبحت لا تنسجم مع الفطرة البشرية. ويقتنع رجالها أن أي صراعٍ أو احتكاكٍ فكري مع الإسلام ستُهزم فيه ، لأنهم أنفسهم غير مقتنعين به فكيف يُواجهون به ، لذا كانوا يتجنّبون الاحتكاك العقيدي أو الفكري ، واكتفى سدنة الكنيسة ورجالها بشحن أتباعهم ضد الإسلام بنشر أفكار كاذبةٍ عنه ، وإشاعة آراءٍ عنه لا

تمتّ إليه بصلةٍ ، وفي الوقت نفسه عملوا على التهديم في الإسلام من الداخل بنشر الفساد والرذائل لإظهار صحة ما يدّعون ، لذا عملوا أثناء قوتهم واستعمارهم لبلاد المسلمين وبعد ذلك على انتشار الخمور ، والزنا ، وإشاعة السفور والاختلاط ، ومما يؤسف له أن الراهبات قد دخلن في هذا الخضم ، ولعبن دوراً في هذا المجال فقدّمن أنفسهن وأجسادهن بحجة إرضاء الرب لكسب أتباع له ولدينه أو هكذا سوّل لهن سدنة الكنيسة وشجّعوهن على ذلك. ولكن إن استطعن نشر الفساد إلا أنهن قد عجزن عن إدخال أحدٍ من المسلمين في النصرانية مهما ارتمين في أحضانه ، وإذا وقع فحوادث نادرة شاذة خلال التاريخ كله ، وربما لا تتجاوز بضعة حوادث يقعن فيها على منبوذين من مجتمعهم ، غير أن الحوادث التي تذكر هي إسلام الراهبات ، وزواجهن من مسلمين واستقامة أمرهن بعد ذلك مع أزواجهن. وقد دخلت الفتيات النصرانيات واليهوديات إلى العالم الإسلامي باسم الصحافة ، والتمثيل ، والوظائف ، وأمانة السر لدى الأدعياء والأعوان وتحت مظلة التجسس ، وفي مجال الطب ، والتمريض ، والتعليم ، وكان هذا منطلق الراهبات منهن .

ومع ذلك فإن هذه الأعمال الفاسدة كانت أشواكاً في طريق المسلمين أثّرت عليهم ، وعملت في وخز أجسامهم داخل المجتمع الذي يعيشون فيه ، فيظهر تألمهم من الوخز ، ويتحرّكون فيخجلون من مجتمعهم ، والمجتمع بالتالي يتألّم من تحرّكهم ، وأصواتهم التي تنطلق أحياناً .

أشواك الهيئات الدولية :

لما انتصرت الدول النصرانية في الحرب العالمية الأولى ، وتمكّنت من احتلال الشام حيث المسجد الأقصى ، وقسّمت الشام وأكثر ديار الإسلام فيما بينها ، وشعرت بنشوة النصر ، وإرواء كثيرٍ من الغلّ الذي في صدور أبنائها ، رأت أن تتابع مهمتها ، فألغت الخلافة الإسلامية التي كانت رمزاً للقاء المسلمين رغم كل ما يمكن أن يُقال فيها من ضعفٍ وفساد ، وسلّمت مقرها وما حوله إلى أحد الأدعياء ، وأقامت في تلك الرقعة جمهورية نفاق (علمانية)، كما وصل بعضهم إلى درجات السلم الأخيرة في عدد من الأمصار الأخرى، وذلك في سبيل المحافظة على النصر الذي أحرزته النصرانية على المسلمين ، وفي الوقت نفسه رغبت أن يكون هؤلاء الأدعياء أعواناً لها ومساعدين للإبقاء على ذلك النصر ، ولم يكن ليتم

هذا إلا إذا كان الرأي للأدعياء دون شعوبهم ، لأن الشعوب الإسلامية لم تخنع تماماً، وإن هُزمت عسكرياً وضعفت في الحرب إلا أن العاطفة الإسلامية لا تزال في النفوس ، والإيمان لا يزال يعمر كثيراً من القلوب . من أجل هذا يجب أن يكون إعطاء القرار للرؤوس دون الرعية ، وحلّ هذا يكون بتشكيل هيئةٍ دوليةٍ تمثّل القادة ، وقد تمّ هذا بتشكيل عصبة الأمم المتحدة التي قامت بعد الحرب العالمية الأولى إثر مؤتمراتٍ تمثيليةٍ تمّت في باريس .

لقد كانت الدول النصرانية عامةً تخشى المسلمين رغم ضعفهم ، للروح المعنوية العالية التي يتمتعون بها نتيجة إيمانهم ، وتخاف منهم خشية إعلانهم الجهاد الذي طالما أرهب النصرانية رغم فرقتهم وتجزئة بلدانهم ، وترهب اجتماع كلمتهم الذي قد يحدُث بمجرد المناداة بالإسلام لذا عملت المنظمة الدولية «عصبة الأمم» على تقسيم بلاد المسلمين ، وتجزئتها إلى أقاليم صغيرةٍ ، وبذلت جهدها لترسيخ فكرة التجزئة والخلاف ، وما وقفت موقفاً إلا وينبع من هذا المنطلق ، فإقليم بلاد الشام أصبح أربعة أقاليم مثلاً ، كما عملت هذه المنظمة الدولية «عصبة الأمم» على وضع بلاد

المسلمين تحت سيطرة الدول النصرانية تحت مسمّيات كثيرة مثل الاستعمار ، والانتداب ، والحماية ، ومناطق النفوذ و . . .

كان شغل عصبة الأمم الشاغل هو بلدان المسلمين لا سواها تعمل فيها تجزئةً وتقسيماً ، وانتداباً واستعماراً ، وظلماً واعتداءً . وربما لم تكن لها من مشكلةٍ أساسيةٍ مدة قيامها بين الحربين العالميتين سوى تحطيم بلاد المسلمين إضافة إلى المشكلة الألمانية التي لم تكن بالأساس إلا نتيجة القوة الألمانية المتصاعدة . غير أن هذا الموقف من عصبة الأمم قد جعل المسلمين عامةً ينظرون إليها نظرة الانحياز ، وعدم المصداقية في اتخاذ القرارات ، وخشيت الدول النصرانية الكبرى أن يُؤدي ذلك إلى نفور المسلمين من عصبة الأمم وإلى اجتماع كلمتهم والتأهّب لحركةٍ ضدّ هذه الدول التي تُسيطر على بلدانهم ، لذا فكرت الدول الكبرى باستبدال هذه المنظمة الدولية بغيرها .

وجاءت الحرب العالمية الثانية، وكانت بعض الدول الإسلامية قد أُعطيت ما يسمى بالاستقلال فوجدت الدول النصرانية الكبرى فرصةً لتغيير عصبة الأمم ، وتقرّر تشكيل

«هيئة الأمم المتحدة» ، وستشارك فيها الحكومات التي ستمنح الاستقلال ، الإسلامية منها وغير الإسلامية ، وسيكون ممثّلوها هم من المسؤولين عما تقرّره المنظمة الدولية دون أن تتحمّل وحدها مسؤولية تلك القرارت ، ولا يقع اللوم عليها من قبل المسلمين بصفتها تسير بخطٍ نصرانيٍ ملؤه الغلّ والحقد ، وإنما اللوم على ممثلي الدول جميعاً ، بما فيها طبعاً الحكومات الإسلامية ، ولاشك أن الأدعياء والأعوان فيها كثير ، ولا يمكن أن يخرجوا عما تريده الدول الكبرى الصديقة لهم أو صاحبة الفضل عليهم . فالدول النصرانية الكبرى تُوجّه المنظمة الدولية ، والدول الأخرى الصديقة ، والضعيفة، والفقيرة توافق دون أية معارضةٍ اللهم إلا في بعض الأحيان حيث تجري تمثيليات حتى يسهُل بلع الموسى على المغلوب على أمرهم ، والمنكوبين من المسلمين . إذن تصدر القرارات باسم المنظمة الدولية وفي الواقع فهي من تنفيذ وإخراج الدول النصرانية الكبرى وحدها ، وتتحمّل باقي الدول المسؤولية .

أخذت المنظمة الدولية الجديدة «هيئة الأمم المتحدة» تُصدر القرارات ضد المسلمين ، فإذا ما وقع خطأ من دولةٍ

مسلمةٍ بل من بعض رعيتها ، وقع النكير ، واهتزّت أروقة الأمم المتحدة ، وفُرضت العقوبات التي منها اقتحامها عسكرياً ، ولكن إذا وقع من غيرها فإذا كانت نصرانيةً نُظر في المصلحة ، وإذا كانت من دياناتٍ أخرى غير إسلامية وغير نصرانية اتُخذ التشديد ، ولُوّح بالتهديد ، وإذا كانت ضدّ المسلمين فمهما بلغت فداحة الجرائم والمآسي فلا يُهتّم بها ، ويُسوّف بالأمر ، ويُؤجّل مهما طال الزمن ، ولو فني المسلمون جميعاً ، ويمكن أن نأخذ مثلاً : كشمير التي مضى على قضيتها أكثر من ستٍ وأربعين سنةً ، والهندوس يُذبِّحون في المسلمين ، ويغتصبون نساءهم ، ويرتكبون أبشع الجرائم ، ويقومون بأعمال الإبادة الجماعية ، وحرق الناس وهم أحياء ، والتمثيل بالجثث ، وقطع الأعضاء وأصحابها على قيد الحياة و. . وهيئة الأمم تُسوّف ، وتُؤجّل ، وتُشكّل اللجان ، وتُغض الطرف ، والمهم قتل المسلمين ، والسكوت عن كل ما يحدث. هذا مع العلم ، ومما يؤسف له أن الدول الإسلامية ذات علاقاتٍ وثيقةٍ مع حكومة الهند الهندوسية بل إن الهندوس يملؤون أمصاراً مسلمةً يعملون بها ، ولم تصدر من المسلمين أية احتجاجات ، أو قطع علاقاتٍ سياسيةٍ أو طرد عمالٍ أو أي إساءةٍ حتى من الشارع

الذي يندفع أحياناً مروءةً ، ويتمعّر وجه أبنائه .

وربما كانت قضية البوسنة مثلاً آخر في تواطؤ هيئة الأمم المتحدة على قتل المسلمين وارتكاب الجرائم التي يصعب على المرء سماعها لبشاعتها ، فالمسلمون في البوسنة محصورون بين النصارى ، ويُشكلون في البوسنة ما يقرب من النصف ، وقد أعلنت البوسنة استقلالها بعد تجزئة يوغوسلافيا ، وقامت فيها حكومة تمثّل الشعب ، غير أن المسلمين فيها يُشكلون الأكثرية نتيجة نسبتهم العددية ، واعترفت هيئة الأمم المتحدة بهذه الدولة ، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول الدول التي اعترفت بهذه الحكومة الجديدة ، بل هي التي أعطت الضوء الأخضر لقادة البوسنة للاستقلال كعملية استدراج لقتلهم ، ثم نشبت حرب أهلية بين العناصر الرئيسية التي تُشكّل البوسنة وهي : البوشناق المسلمون ، والصرب النصارى الأرثوذكس ، والكروات النصارى الكاثوليك . وهنا تبدأ أدوار المنظمة الدولية القذرة .

أعلنت هيئة الأمم المتحدة حظر الأسلحة على الأطراف المتنازعة في يوغوسلافيا السابقة غير أن هذا القرار قد نُفذ على

المسلمين وحدهم ، وأخذت الأسلحة تتدفّق على النصارى وخاصةً الصرب الذين كانت تمدّهم روسيا ، ورومانيا ، واليونان ، وبلغاريا والدول الأرثوذكسية كافةً إضافة إلى دولة الصرب التي عدت نفسها طرفاً في النزاع ، لذا ملك الصرب الأسلحة الثقيلة ، ولم يملك المسلمون سوى الأسلحة اليدوية إضافة إلى ما يربحونه في الحرب . أما الأمصار الإسلامية فقد تقيّدت بقرار هيئة الأمم حرفياً بل إن الأموال التي جُمعت للبوشناق لم تدفع لهم خوفاً من أن يشتروا بها سلاحاً فيكون ذلك مخالفاً للمجتمع الدولي ـ حسب زعم أولئك المتمنعين ـ .

استطاع الصرب السيطرة على أجزاء واسعةٍ من أراضي البوسنة ، فانعزلت مناطق مسلمة ، وحوصرت مناطق أخرى ، فتعرّضت للجوع ، وتعرّضت للبرد ، وتعرّضت للمرض ، وأخذت سيارات الإغاثة الدولية تصل إلى المنطقة ، ولكن يأخذها الصرب ، وتدّعي المنظمة الدولية أن الصرب قد سطوا عليها قوةً واقتداراً ، وكأن هيئة الأمم المتحدة لا إمكانية لها للدفاع عن قوافلها . وكأن الموضوع لعبة بين أطفالٍ صغارٍ ، وتحسب أن الأمر ينطلي على

الآخرين ، الذين تظنّهم سوائم لا تعي ولا تدرك ، ومع ذلك نقول صراحةً : إن هذا كان ينطلي على بعض المغفّلين والنيام .

لجأت هيئة الأمم المتحدة إلى طريقةٍ ثانيةٍ في محاولةٍ لتغطية تعصّبها وانحيازها فأخذت ترسل المساعدات عن طريق الجو ، أي اعترفت أنها لا تستطيع حماية قوافل مساعداتها البرية ، فكانت طائرات الإغاثة تسقط المساعدات إلى الصرب ، وتدّعي أنهم أسرعوا إلى أخذها والاستيلاء عليها ، وإذا سقطت المساعدات عند المسلمين بعد تخطيطٍ فهي من النوع الفاسد أو على الأقل المحرم على المسلمين. وبدأت تتوالى جرائم المعتدين، ومآسي الجوع ، والبرد ، والمرض . والأمصار الإسلامية ضمن هيئة الأمم ترى وتسمع ، وتُساعد وتدفع ، وتُؤيد وتخضع ، ولا تعترض ولا تشترط .

وقد يكون من الصعب ذكر ما حلّ بالبوسنة من مآسي وفواجع تحزّ في النفس ، وتدمي القلب ، حتى لتجعل الإنسان يصعب عليه سماعها أو قراءتها لبشاعتها لذا سأقتصر على حادثةٍ واحدةٍ على «مأساة غوراجده» وقد سبقها ما فاقها ، ولا

ندري ما يتبعها ، فالله وحده الذي يعلم ما سيجري .

«غوراجده» مدينة يزيد عدد سكانها على خمسةٍ وستين ألفاً من المسلمين بقيت مع جيبٍ صغيرٍ يُحيط بها في شرق البوسنة ضمن أرض سيطر عليها الصرب . وقد عدّتها هيئة الأمم المتحدة منطقةً آمنةً ضمن المناطق التي ادّعت أنها ستُحافظ عليها ، وأرسلت إليها قوةً مما يسمى بحفظ السلام ، حاصر الصرب هذه المنطقة ، وأخذوا يتقدّمون نحو المدينة بدباباتهم ومدفعيتهم الثقيلة ، وهيئة الأمم تدّعي أن المنطقة آمنة ، ووصل المعتدون الصرب إلى مداخل المدينة ، والسكان في خوفٍ وهلعٍ ، وقد انقطعت عنهم أسباب الحياة والعدو يتربّص بهم، والمدفعية تقصف والدبابات تتحرّك ، والأمم المتحدة تُطلق ادّعاءات مضحكةً منها : لا نريد أن نتدخّل خوفاً من زيادة القتال وإشعال الحرب ، ونخشى عدم العودة إلى دائرة المفاوضات ، ولابدّ من استشارة حلف شمالي الأطلسي في توجيه ضرباتٍ للمعتدين ، وما هي فعاليات قصف المعتدين بالطائرات ؟ ، ولا يمكن للصرب أن يقتحموا «غوراجده» لذا لا داعي لضرب الصرب . وفكّرت مرةً المنظمة الدولية القيام بتمثيليةٍ لامتصاص نقمة الرأي العام الدولي

الحرّ ، والإسلامي . فقامت طائرات من حلف شمالي الأطلسي ، وقصفت مناطق فارغةً بعيدةً عن تجمّعات الصرب ومرابض مدفعيتهم ودباباتهم ، ولم تعلم قيادات الصرب بهذه الخطة التمثيلية ، فأطلقت بعضها النار على الطائرات (المهاجمة) فأسقطت طائرةً منها ، وسكتت المنظمة الدولية عن ذلك لأنه من خطئها ، على حين كان الرأي العام يتوقّع أن تقوم غارات انتقامية حقيقية ، وهذا السكوت قد جرّأ الصرب على تصريحاتهم الجهنمية ، وعلى ارتكاب جرائم أقذر مما سبق حيث اقتنعوا بموقف المنظمة الدولية صراحةً إلى جانبهم ، والرغبة في إبادة المسلمين .

أما المسلمون البوسنويون فيقاتلون قتال استماتةٍ إذ يرون ما يفعله الصرب من قتلٍ، وتمثيلٍ بالجثث ، واغتصابٍ للنساء ، والمنظمة الدولية تقف ضدّ المسلمين ، وتعمل سراً على إبادتهم، والمسلمون في الأمصار الأخرى في غيّهم ساهون ، والرعاة ضمن المنظمة الدولية ، والرعية لاتعرف شيئاً إلا ما تردّده وسائل الإعلام ذات الأهداف المعادية للمسلمين. وانتهت الذخيرة من أيدي البوسنويين المسلمين، وفقدوا أكثر ما لديهم من وسائل الحياة، لكن يعرفون مصيرهم المحتوم

ويرون الموت بكرامةٍ خير من الموت بذلٍّ ، ومما ساعدهم في قتالهم الأزقة الضيقة في مدينتهم، والحارات المتعرّجة ، والشوارع المسدودة فيخشى الصرب دخولها حيث لا يعرفونها ، ولكن يعلمون شجاعة المسلمين البوسنويين وقتالهم بحماسةٍ قتال استماتةٍ بالأسلحة اليدوية وبكل ما يملكون ، وهذا ماقذف في قلوب المعتدين الرعب ، لذا كان تقدّمهم داخل المدينة بطيئاً ، ويخافون مغادرة الدبابات التي لا يمكنها دخول الأزقة ، والأماكن الضيقة .

لجأ الصرب إلى إضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين بارتكابهم جرائم تُخلع منها القلوب فكانوا كلما دخلوا إلى منطقة اغتصبوا النساء والفتيات حتى الصغيرات منهن علناً على مرأىً ومشهدٍ من الناس جميعاً دون خجل ولا حياء فكان الصراخ يعلو من النساء نجدةً ودفاعاً ، وشرفاً وكرامةً ، واستغراباً لما يحدث من وقاحةٍ وقلة أدبٍ لم تعهدهما البشرية من قبل ، ويرتفع صراخ الفتيات تألماً وتوجّعاً ، واستغاثةً حميةً للشرف والعرض ، فمن الفتيات ماهن دون العاشرة من العمر . ومن جرائم الصرب التي تهدف إلى إضعاف روح المسلمين المعنوية قتل الأطفال الذين يقبضون عليهم أثناء

تقدّمهم ، وتقطيعهم قطعاً قطعاً ورميها في نهر «الدرينا» الذي في مدينة «غوراجده» ، وهذا ما تقشعر له أبدان البشرية جمعاء ، وهو ما يمزّق نياط قلوب الآباء والذين يرون هذه الجرائم الوحشية ، فيجعل أكبادهم تدمى من الألم والحسرة وتنخلع من الخوف ، ويصبح قتالهم المستميت من غير تفكيرٍ ، فيلقون بأنفسهم بصورةٍ عشوائية ، وتنتهي حياتهم ، وأما الذين يصيبهم الخوف فيتجهون إلى مركز المدينة ، حيث تجمّع هناك في الوسط ما يقرب من خمسةٍ وثلاثين ألفاً ، ووجد الصرب في تجمّع المسلمين صيداً ثميناً للإبادة والقتل بالجملة ، فأصلوهم بوابلٍ من قذائف المدفعية والدبابات ، بل ظنّ المعتدون أن الهاربين ربما يلجؤون إلى المستشفى لضمان أمنهم فرشقوا المستشفى ، فانقطع التيار الكهربائي ، والمياه ، وتكسّرت أواني الأدوية ، وقُتل عدد من الجهاز الطبي ، واضطر الأطباء إلى إجراء العمليات الجراحية دون مرقّد «المخدّر» ، وتوالت المآسي والجرائم التي يرتكبها المعتدون الصرب ، والتي يصعب ذكرها .

وأما المنظمة الدولية «هيئة الأمم» و «مجلس الأمن» فكانوا يعملون على إضعاف الروح المعنوية الإسلامية بإعلان سقوط

مدينة «غوراجده» بيد المجرمين الصرب ، ولم يمض يوم أو يومان حتى تُعلن وكالات الأنباء ، أن المدينة سقطت ، أو اليوم تسقط ، أو هي على وشك السقوط ، وذلك كي تنهار المقاومة الإسلامية ، وتضعف روح المقاتلين المعنوية ، ويستسلمون. كما أن قوات الأمم المتحدة هناك لم تكن لتقف على الحياد كما هو مفروض على الأقل ، وإنما كانت تقف إلى جانب الصرب ، وتقاتل المسلمين أحياناً ، ومن كان فيهم يتميز بشيءٍ من الرحمة أو الشفقة يصرخ بملء شدقيه عما يجري من جرائم ، وأن مأساةً إنسانيةً ستقع ، وسيذبح فيها ستون ألف مسلم دفعةً واحدةً بمنتهى الوحشية، ولكن لا حياة لمن تُنادي، وقد شبّه أحدهم هيئة الأمم بجرائمها في البوسنة بالمنظمة الإرهابية «المافيا» فقال: تمارس «المافيا» الجرائم السياسية على حين تمارس هيئة الأمم المتحدة سياسة الجرائم .

وهذا ما فعلته هيئة الأمم من قبل في أهل فلسطين ، وكشمير ، ولا تزال تمارس السياسة نفسها .

ومن منظمات الأمم المتحدة الدولية هيئات الإغاثة الدولية، وهيئة اللاجئين و . . . وكلها تُمارس أعمالها بحقدٍ

صليبي يهودي على المسلمين ، ولما كانت أكبر النكبات تحلّ بالمسلمين ، وأعظم المصائب تنزل بهم، وأبشع الجرائم تلحق بهم لذا فإن عمل هذه الهيئات إنما هو مع المسلمين ، ولننظر إلى بعض أعمال هذه الهيئات .

ألمحنا إلى عمل هيئات الإغاثة في البوسنة ومثلها جرى في كشمير ، وفلسطين، والفيليبين ، وفي كل أرض يسكنها مسلمون ، وحلّت بهم نازلة ، وهي تنزل باستمرار ، وتلاحق المسلمين .

عندما تُصيب المسلمين كارثة تعمل هذه الهيئات على أخذ أطفال المسلمين إلى مراكز اللاجئين ورعاية الأطفال فتُنشّئهم على النصرانية قبل كل شيءٍ وتُطلق عليهم أسماءً جديدةً تدلّ على نصرانيتهم، ولا تسمح لأحد من المسلمين برؤيتهم، ولو كان من ذويهم. وهكذا يصبحون نصارى تحت اسم الإنسانية الذي هو شعار هذه الهيئات. ويجب أن نعلم من ناحيةٍ ثانيةٍ أنها لا تسمح بأخذ أحدٍ منهم إلى أمصارٍ إسلاميةٍ ولا تقبل أن يتعهدهم مسلمون ويعملوا على تربيتهم، بل إن الادعياء والأعوان لا يوافقون على دخولهم إلى بلدانهم ، وذلك ضمن مخططٍ مرسومٍ ، وهذا ماكان يحدث لأطفال المسلمين في

البوسنة الذين نُقلوا إلى بلدان النصارى ، وإلى اليهود ، ولم يصل أحد منهم إلى بلدٍ إسلامي ، وبعد هذا فالدول الإسلامية تدفع المساعدات لهيئات الإغاثة هذه، وتتفاخر ، وتعدّ نفسها أمام شعوبها أنها تُقدّم خدماتٍ ومساعداتٍ لأبناء المسلمين ـ وهم قد أصبحوا نصارى ـ.

وليس الأمر مقتصراً على الهيئات الدولية الكبيرة بل ينطبق على أصغر هذه الهيئات والتي هي على المستوى الإقليمي الصغير ، ولنأخذ بعض الأمثلة : أحد المسلمين من الشام من منطقة فلسطين قُتل أهله جميعاً في بلدة «كفر قاسم» ونُقل هو إلى جنوبي إفريقية حيث عاش هناك دون أن تصل إليه أيدي تلك الهيئات، لذا بقي على دينه ـ بإذن الله ـ، ولما بلغ أشده ، واستوى رغب بالعودة إلى الشام ليعرف شيئاً عن أهله ، وتلك البقعة من الأرض التي بارك الله فيها ، فارتحل إليها بجواز سفرٍ أوربي ، وباسم نصراني ، ووجد هناك الظلم والاضطهاد ، فدفعه إيمانه ، وحرّكته الإنسانية فاشترك بحركةٍ ضد اليهود، فطُرد من البلد، وأُعطي جواز سفرٍ روماني مزوّرٍ كي يستطيع الخروج ، فوصل إلى اليونان مع عائلته التي تضمّ زوجةً وثلاثة أطفالٍ ، واعترفت به الأمم المتحدة لاجئاً ، وأُعطي البطاقة

الزرقاء التي تُثبت أنهم لاجئون ، ومن رعايا الأمم المتحدة ، ولما حان موعد تجديد البطاقة لم يتمكّن من ذلك ، وتصبح إقامته في اليونان غير شرعيةٍ ، واستمرّ على حالته هذه عدة سنواتٍ ، وأخيراً يُقبض عليه وعلى أسرته ، ولم تكن هناك دولة تقبلهم ، وتبيّن أن سبب ذلك نائبة المسؤول عن شؤون اللاجئين ، وهي امرأة يهودية من الجزائر ، تُسمّى «ياسمين شُرفي» تدّعي أنها مسلمة، وقد رفضت بشدّةٍ أي نوعٍ من المساعدة، ثم عُرف أنها هي سبب هذا الرفض ، ومصدره .

وهناك مسلم من الصومال له ستة أطفالٍ أقام مع أهله في مدينة جده في جزيرة العرب مدة سبع عشرة سنة براحةٍ وطمأنينةٍ ، ثم اضطر إلى العودة إلى الصومال ، وبدأت المشكلات ، فحاول العودة إلى مقره الأول فلم يتمكّن ، وأصبح وأهله من رعايا الأمم المتحدة ، ونقلوا إلى اليونان ، فعاش الأبوان في أثينا مع ولديهما الكبيرين اللذين سمح لهما السن بمعرفة الإسلام ، أما الأربعة الصغار فقد أُخذوا إلى مدينة تبعد عن أثينا ثلاثمائة كيلو متراً ، ووضعوا تحت رعاية يونانيين نصارى في محاولة تنصيرهم ، وبُدّلت أسماؤهم من عبدالرحمن ، ومحمد ، وأحمد ، وفاطمة إلى جورج ،

وبطرس ، وأنطون ، وكاترينا ، ولم يستطع الأب استردادهم إلا بعد جهدٍ مُضنٍ استمر ثلاث سنواتٍ ، ثم نُقلوا إلى كندا ، حيث عاشوا هناك جميعاً بعد أن لقّن الصغار أفكاراً نصرانيةً .

الأشواك الذاتيّة

كما أن هناك أشواكاً يزرعها الأعداء في طريق المسلمين ، ويتعهّدونها بالحماية والرعاية حتى تصبح قاسيةً جارحةً تجرح أجسام المسلمين ، وتجعلهم يتعثّرون في درب حياتهم ، وإلى جانب هذه الأشواك تنمو أشواك محلية لا يقلّ أثرها عن السابقة ، لأنها من الداخل تنمو بين بقية المزروعات فلا ينتبه إليها الساقي ، ولا يعرفها إلا الخبير بالزراعة ، المدرك لواقع الأمر . ومن هذه الأشواك .

أشواك السياسة :

يتخذ الأعداء عدداً من الأعوان لهم ، ويسلّمون واحداً منهم السدّة ، ويجعلون الآخرين يقفون موقف المعارضة الذي يستدعي تجريح الواقف وراء المقود واتهامه بالارتباط ، واتباع سياسةٍ ليست أصيلةً بل دخيلة ، والسير في فلك آخرين ، ويجد تأييداً فإذا ما وصل إلى أعلى درجات السلم نهج خطة سلفه، وسار كما سار ، لم يتغيّر شيء ، فإذا بالأمر لايزيد على أن الفارس قد استبدل جواداً بآخر ، إذ كان يُراهن

على أكثر من جوادٍ ، فإن تعثّر إحداها ، أو لم يستطع متابعة السير لكثرة المعارضة أو لعجزٍ ، نزل عنه ، وامتطى آخر . وهنا تفقد الرعية الثقة بالذين يتصدّرون ، والذين يدخلون سلك التنظيم المصلحي تحت الشعار الحزبي ، فإذا البطانة نفسها ، ولا يمسّ التغيير إلا الرأس . وهنا ينعدم التفكير بالتنظيم ، وتعمّ الفوضى ، ويبقى المسلمون لا سراة لهم ، في الوقت الذي تنظّم الفئات الأخرى نفسها ، ويكون لها قادة ورعاة ، بل ترى جماعة من المسلمين حرمة التنظيم لجهلها بالواقع الذي تعيشه أو أنها لا تريد أن تعرف ، بل تجهل هذا الجانب في الإسلام من سيرة رسول الله ، ﷺ ، ومن التوجيهات القرآنية .

فالجهل بالسياسة التي هي جزء من الإسلام، والتناحر بين فئات المجتمع ، وعدم معرفة لعبة الدول النصرانية الكبرى ، وعدم الوعي كل هذه أشواك تقف في درب المسلمين، وتعمل في بنيانهم هدماً ، وفي أجسامهم وخزاً فتقضّ مضاجعهم .

أشواك أصحاب المصالح :

هناك أفراد كثيرون يسعون وراء مصالحهم دون النظر إلى المبادىء ، ومن غير البحث عن القيم ، فيتزلفون للأدعياء ،

وللأعوان ، ويقولون عنهم ماليس فيهم ، ويضعون الكتب في ذلك ويوجدون المبرّرات ، ويكيلون المدح حتى يضيع الواقع بل الحق على الناس ، وأصعب منها إن كان بعضهم يحمل صفة أهل العلم ، وخاصةً إن صدّر الفتاوى ، ومنح الضالّين صفة الإيمان ، وسار بمن حوله في موكبهم ، وسفّه أحلام المؤمنين الصادقين الذين يقولون الحق ، حقداً عليهم ، ومناصرةً لأهل الباطل في سبيل عرضٍ من أعراض الدنيا يحصلون عليه كالمنصب أو المكانة ، بل يكفي التقّرب ومعاداة الذين يعملون لله لخلافٍ معهم ، وربما يتعدّى ذلك فيعمّم على نظائرهم من الحركات الإسلامية في الأمصار كلها ليبرهن على صحة رأيه ، وإنه ليعلم إنه لكاذب، ومع النفاق الواضح ، والكذب الصريح إلاّ أن هذا يلبس على عامة المسلمين الحقيقة ، ويضيع عليهم درب الصواب ، فيتيهون بين الأشواك التي تؤذيهم ، وتجعل الدم ينزل من أقدامهم .

أشواك المنافقين (العلمانيين) :

يوجد في مجتمعاتنا ـ مع الأسف ـ أُناس يُظهرون الإسلام، ويُبطنون الكفر ، وليكون تأثيرهم في المجتمع كبيراً يضعون كتباً ظاهرها الإسلام بدعوى أنهم مسلمون وحقيقتها كفر

صريح ، فهذه الكتب تُصوّر أصحابها تصويراً صحيحاً إلا أن غفلة بعض المسلمين ، وعدم معرفتهم فلسفة الأمور ، وحقيقة كفر أصحابها تلبس على المسلمين أمور دينهم ، وخاصةً أن الأدعياء والأعوان يبرزون مثل هذه الكتب ، ويضعونها في المرتبة الأولى من الكتب الفكرية ، وتقوم وسائل الإعلام بالتركيز على هذا فيضيع المسلمون أمام الدعايات الرسمية ، كذاك الذي دوّن كتاباً بعنوان «الكتاب والقرآن ـ قراءة معاصرة» ، وعلى الرغم من أن عنوانه يدلّ على الكفر إذ أن النظرة والمعرفة المعاصرة تجعل فهماً جديداً ، وفكراً حديثاً آخر لم يعرفه السلف ، ولم يفكر فيه الصدر الأول حتى جاء الوعي المعاصر والعمل الحديث ، ويكفي هذا كفراً . ولما كان المؤلف يدّعي الإسلام . ويحمل اسماً يدلّ على ذلك ، ويثني منافقون آخرون ، والدعاية تنطلق على مجالٍ واسعٍ فإن الأمر يختلط على العامة ، ويصل المنافقون إلى أهدافهم ، ويتقلّب المسلمون على الأشواك التي تدخل أجسامهم وتدميها ، وينالهم الأذى الشديد .

أشواك المتعالمين :

وهناك بعض المتعالمين الذين يظنّون بأنفسهم التفوّق على

غيرهم ، وأنهم قد وصلوا إلى ما لم يصل إليه غيرهم ، ويبدأون بطرح أفكارهم ، وقد يكون الطرح بنيةٍ حسنةٍ غير أن أخطاراً جمّةً تنجم عن ذلك لأن الأمر يتعلّق بالفكر الإسلامي ، ويمسّ شغاف العقيدة مسّاً خفيفاً دون أن يصل إلى القلب فهذا الذي يكتب في السيرة ويدّعي أنها السيرة الصحيحة أي كل ما عداها حتّى ما دوّنه السلف يحتاج إلى تدقيقٍ إذ يخالطها الكثير ، ويجعل من مركزه العلمي وموقعه توثيقاً لعمله ، وذاك يقترح أن يتقبل المسلمون الأخطاء التي وقعت في الصدر الأول بشجاعةً ، ويعملون على نقدها ، ويرمي بالسوق كتاباً يُدوّن فيه ما يدّعي أنه فكر سليم ورأي سديد ، على الرغم من معرفة الجميع أن مفترياتٍ كثيرةً لحقت بالتاريخ الإسلامي ، وأن أكاذيب دوّنت وذلك للتهديم من الداخل ويأتي المتعالمون اليوم لينالوا من الصحابة من غير قصدٍ ، فيهدّمون ولا يدرون أنه قد وصل إلينا كثير من أمور الإسلام عن طريق هؤلاء الصحابة. وإن مكانة هؤلاء المتعالمين، وممارستهم التعليم في المعاهد العالية قد تجعل مبرراً لدى العامة لقبول هذه الأفكار . وتتناثر الأشواك وينام عليها المسلمون ، فتثقب جلودهم ، وينالهم الأذى والألم الشديد .

أشواك الفرقة :

تتباين آراء الناس ، وتختلف أفكارهم ، غير أن المسلمين يرجعون إلى مصدرٍ واحدٍ يتلقّون منه ، ويأخذون أفكارهم ، وآراءهم ، وأسلوب حياتهم ومنهجهم منه وهذا ما يُوحّد فكرهم ، ويجمع آراءهم ، ذلك هو الكتاب والسنّة ، إلا أن أفهام الناس تفترق ، فإذا فهمت جماعة أمراً تمسّكت به ، وتعصّبت له ، واستمرّت تتبنّاه ، وتُدافع عنه ، وإذا عمدت إلى الرجوع إلى المصدر الرئيسي فهمت منه ما ثبت في ذهنها فزاد إصرارها عليه ، وأخذت تُنافح عنه ، وتُدافع بل وتتهم الآخرين بسوء فهمهم ، وقصر نظرهم وبذا وجدت الفرقة بين المسلمين ، بتباين آرائهم، فإذا كانت الجماعتان على عقلٍ ووعيٍ ودينٍ كان الحوار الهادىء ، والعودة إلى الكتاب والسنة ، والتلقّي ، والقبول ، والرجوع إلى الحق ، والعودة إلى الوفاق والوحدة في الرأي والفكر ، والعمل معاً ، ووحدة المسلمين ، وإن كان التعصّب للرأي ، والإصرار على الموقف حدثت الفرقة ، ووقعت المشكلات وربما الهجوم ، وكانت الأشواك في طريق المسلمين منهم أنفسهم، وهم لا يدرون ويظنّون بأنفسهم الاجتهاد ، والعمل الصحيح ،

والاستقامة ، والعمل حسب الجادة البيّنة .

بعد أن تفرّقت كلمة المسلمين ، وسيطر عليهم أعداؤهم من المستعمرين النصارى ، وتشتّت شملهم ، وضعف أمرهم ، وعاشوا مغلوبين على أمرهم على هامش الحياة ، كان لابدّ من تنبيههم ، وإيقاظهم من رقدتهم ، وتنظيم وضعهم كي يكون التعاون ، وتسهل عليهم مقارعة الدخلاء ، وليساعد بعضهم بعضاً ، ويتعارف الصادقون ، وحتى لا يدخل بين صفوفهم غريب يُفسد عليهم خطتهم ، ويمزّق شملهم من جديد ، وليمكن إقامة مجتمع إسلامي جديدٍ يكون قدوةً للآخرين ، وواقعاً حياً للمجتمع الذي يدعون له . لذا وجد التنظيمات الإسلامية ، وقامت الحركات ، وانطلقت الدعوة ، وكان العمل ، وكان أثناء المسير إيجابيات واضحة دفعت الدعوة ، وأيقظت الحركة فارتفعت رؤوس واستعلت بالإيمان ، ونهضت جماعات وافتخرت بالإسلام ، ومع هذا فقد كانت هناك سلبيات ، وقد لايخلو منها عمل ، وتفاوتت هذه السلبيات بين جماعةٍ وأخرى . و لكن يبقى التنظيم أساساً في الإسلام لايمكن تجاوزه وخاصةً في هذا الوقت الذي نظمت الجماعات نفسها ، وأخذت تتحرك باستثناء

المسلمين . ونلاحظ في سيرة رسول الله ، ﷺ ، التي يجب أن تكون قدوةً لحياتنا أنه قد بدأ دعوته بالسرية ، والسرية قمة التنظيم ، كما كان أفراد كل عشيرةٍ أو جماعةٍ يلتقون سراً يتدارسون ما ينزل على رسول الله ، ﷺ ، من وحيٍ ، ويتلقّون توجيهات رسول الله ، عليه الصلاة والسلام من أحد المسلمين الأوائل ، ومما نعرف من هذه المجموعات جماعة بني عدي التي تضمّ : سعيد بن زيد بن عمرو ، وزوجه فاطمة بنت الخطاب ، وعبدالله النحام ، ويتلقّون التوجيه على يد خبّاب ابن الأرت ، رضي الله عنهم جميعاً. ولسرية تلك الجماعات التي لم نعرفها أو التي لم تصل إلينا أخبارها لأن النشاط الذي وُجد بعد المرحلة السرية قد غطّى على ما سبقه ، ولم تكن هناك من ضرورةٍ للبحث في الأمور السابقة مادامت ليست حكماً . وأما معرفتنا لجماعة عدي فقد عُرفت عرضاً ، وكانت سبب إسلام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، الذي كان يهمّ بالذهاب إلى دار الأرقم بن أبي الأرقم ، رضي الله عنه ، عند الصفا حيث يجتمع المسلمون هناك ، ومعهم رسول الله ، ﷺ ، وفي الوقت نفسه كان عبدالله النحام من بني عدي ذاهباً إلى دار سعيد بن زيد للقاء الأسري مع خباب بن الأرت ، فأخبر عمر ابن عمه عبدالله بقصده ، فثناه عبد الله ، وأخبره بما

يجري في دار ابن عمهما سعيد بن زيد ، ختن عمر ، زوج أخته فاطمة بنت الخطاب إذ فضل عبدالله باجتهادٍ منه التضحية بسعيدٍ ، وفاطمة ، وخبّاب أو إنزال الأذى بهم على أن يُصاب رسول الله ، ﷺ ، بشوكةٍ .

ولكن آخرين قد رأوا سلبيات التنظيم ، فاستعظموها ، ولم يروا الإيجابيات ، وبقيت السلبيات فقط ماثلةً أمام أعينهم ، لا يرون غيرها ، ولا يفكّرون إلا فيها ، واستقبحوها ، ودعوا إلى نبذ التنظيم ومحاربته ، وأصرّوا على موقفهم ، ومع الزمن صار عندهم غير جائزٍ دون دليلٍ ، بل من غير تفكيرٍ ، وإن كان لقاؤهم ، وردّهم ، أشبه بالتنظيم ، وإن كانوا يرفضون هذا ، ويُنكرونه .

وهكذا وجدت في المجتمع الإسلامي جماعتان ترى أولاهما التنظيم ، وتستند على ما سار عليه رسول الله ، ﷺ ، وترى في ذلك الحكمة ، وما يتطلبه الواقع ، غير أنها ـ مع الأسف ـ لم تعمل على ترسيخ العقيدة ، وبناء الفكر حيث شغلتها الردود ، وألهاها النزاع ، وإن دفعت موكب الدعوة شوطاً ، وقدّمت فكراً ينهض بالمجتمع ، ويرسم له منهجاً ، على حين وجدت الجماعة الثانية متأخرة نسبياً عملت في مجال

السنة وفي ترسيخ العقيدة غير أنها شُغلت بنقد الآخرين ، وقد رأت بعض السلبيات ، ولكن لم يكن نقد بناءٍ ونصحٍ إنما نقد تجريحٍ وهدمٍ ، وليس بالتلميح وإنما بالتوضيح والتصريح بل قد يصل الأمر إلى التكفير للأحياء وللأموات ، إذ يرون ـ مع الأسف ـ أن الوضع لا يستقيم لهم إلا بزوال الآخرين من الطريق ، وهذا منتهى الخطر إذ لا يستفيد من ذلك إلا الأعداء، وخاصة أن الأسلوب هو أسلوب الفظاظة والخشونة، وعدم الوعي والتعالي.

وربما استغلّ الأدعياء والمنافقون هذا التنافس بل الصراع ، واستفادوا من حمل فكرة عدم جواز التنظيم فرفعوه ، ونادوا به ، واستشهدوا بأقوال من يدّعي ذلك . وفسحوا المجال للطرفين ليهاجم بعضهما بعضاً للنيل من الفريقين ولوضع الأشواك في طريق المسلمين ، وما أقسى هذه الأشواك لأنه يصعب الابتعاد عنها ، وتصيب الهدف مباشرةً ، وتخترق الجلد واللحم لأنها من الجسم نفسه ، وممن نرجو أن تكون سهامه موجهةً للأعداء فإذا بها مسددة إلى الإخوة والأحبة، وحتى الآن لم يدرك أصحاب السهام مرمى سهامهم ونتائجها ، ولم يعلموا أنها تعود على أكبادهم أنفسهم .

أشواك العصبيات :

مع كل ما يحلّ بالمسلمين من نكبات ، وما ينزل بهم من مصائب ، وعلى الرغم من ادعاء الصحوة ، والمناداة بالعمل للإسلام إلا أن هناك كثيرين لا يزالون يجهلون مبادىء الإسلام مع أنهم يتصدّرون العمل اسماً ، أو حركة ، حيث ترى التعصّب الغريب رغم نهي رسول الله ، ﷺ ، عن كل عصبيةٍ فيقول : «دعوها فإنها مُنتنة» رغم هذا نجد العصبية للإقليم ، وللمدينة ، وللبلدة ، ومن العجيب أن تجد (قادة) أو (دعاة) عندهم مثل هذه العصبيات ، وربما حملوا لواءها . ومن هذه العصبيات التعصّب للحركة ، فنجد أفراد جماعةٍ إسلاميةٍ ما يدّعون أن حركتهم تمثّل وحدها الإسلام ، وما عداها فدون ذلك ، وكل ما سوى أعضائها فهم على خطأ ، على حين يجب أن تُعدّ كل حركةٍ نفسها جزءاً من المجتمع الإسلامي ، وأنها جماعة من الجماعات الإسلامية وليست وحدها هي الجماعة الإسلامية ، ففي الساحة عدد من الجماعات الإسلامية ، ويجب أن يكون هناك تعاون فيما بينها ، وتناصح ، وتشاور . وعلى قادة كل جماعةٍ أن يتصلوا ببقية القيادات ، وبأولي الرأي والعلم في مختلف الأمصار الإسلامية يعرضون عليهم

قضاياهم ويستنصحونهم ، فإن المراقب من بعيدٍ يُحلّل الحوادث بعيداً عن التأثيرات وردود الأفعال . كما أن هذا يؤدي إلى تقارب الحركات بعضها من بعضٍ ، وإفادة بعضها من بعضٍ ، وإبعاد الأفراد تلقائياً عن العصبيات .

إن التعصّب القائم الآن يذرّ أشواكاً تنغّص على المسلمين حياتهم وتقضّ مضاجعهم .

أشواك البؤر :

أخذت تتأسّس مراكز إسلامية في الغرب ، وتضمّ المهاجرين ، والدارسين ، والمشرّدين ، وبعض أفراد السلك السياسي ، ومن أسلم من أبناء البلاد ، وتسير هذه المراكز في خطٍ يُوجّهه عادةً الأفراد البارزين في النشاط وأصحاب الإمكانات ، ويتحرّك الموكب ، وربما نحى منحى الأعضاء القياديين فيه ، والجماعة التي ينتمون إليها . وقد تكون قلّة من الأعضاء ينتمون لجماعةٍ ثانيةٍ ، أو يرون رأياً آخر يخالف قادة المركز ، وربما كانت لهم بعض الملاحظات .

تبدأ القلّة في معارضة المركز وسيره ، وتذرّ الأشواك في الدرب ، وتضع الحيل والمخططات لتجريح القيادة ، وتهديم المركز ، ولم تعد ترى غير ذلك، وتطلب الدعم والمساعدة

من جماعتها ، فتمدها ، إن كانت على جهلٍ ، أو صاحبة عصبيةٍ ، أو تعمل لمصلحةٍ ، أو تسير في فلكٍ آخر ، وعندها تصبح المعارضة بؤرة فسادٍ ، همّها المعارضة للظهور ، وشغلها التهديم للوصول ، دون التفكير في مصلحة الإسلام أو العمل له ، وإن كانت شياطينهم توحي لهم أن عملهم إنما هو للإسلام إذ يسيرون بالمركز بشكلٍ أفضل فيما لو تسلّموا توجيهه ، ويدركون الأمور بصورةٍ أحسن . والمشكلة أن قادتهم والذين يرتبطون بهم لا ينصحونهم ، ولا يُبيّنون لهم أن عملنا ، وعمل كل حركةٍ ، وكل مؤمن مخلص للإسلام لايشترط أن يكون فلان الرأس أو فلان القائد ، فما دام العمل لله فكلنا جند تحت قيادة الذي يعمل من أي حركةٍ كان ، ومن أي إقليمٍ . غير أن تأييد قادتهم لهم أو سكوتهم على الأقل فإن ذلك يعني أنهم لايقبلون إسلاماً إلا تحت قيادتهم ، ولا يقبلون شرعاً إلا عن طريقهم ، ويكفي هذا بعداً عن الحق ، وتمادياً في الباطل ، وابتعاداً عن السنة . فهل كان المسلمون الأوائل يقاتلون لتكون القيادة لأبي بكر ، أو لعمر ، أو لأحدٍ من صحابة رسول الله ، ﷺ . وإن الذين عملوا لتكون الخلافة محصورة في بيتٍ من بيوت قريشٍ من أمويين ، أو عباسيين أو طالبيين قد أخطأوا خطأً ليس سهلاً ، فكان تصرفهم زيادةً في

انفراج زاوية الانحراف ، ويرى جميع المسلمين خطأ ذلك ، ويعملون على الابتعاد عنه ، ويأتي اليوم التعصّب للحركات والتجمّعات فيرفضون الإسلام إلا عن طريق تلك الحركات ، وهذا انحراف بيّن ، وقع فيه القادة ، ووقع فيه الأعضاء الذين يظنّون بأنفسهم أنهم معارضة ، وأنهم قادة في هذا المركز . فهذا إذن من ناحيةٍ انحراف واضح لدى الأعضاء ، ثم في القيادة التي لم تُوجّه إلى الطريق الصحيحة ، إن لم تكن مؤيدةً ، أو متخذةً موقف السكوت ، والسكوت إقرار وتأييد .

إن هذا التصّرف ليس أشواكاً في طريق المسلمين بل هي حراب تُوجَّه بأيديهم إلى أكبادهم ، وتطعن بها بعضها بعضاً تحت اسم العمل للإسلام فليت الجماعات والقيادات تنتبه إلى هذا ، وتتوقّف عن هذا الصراع القاتل .

ويمكن أن نضيف إلى هذا ما مرّ معنا من أشواك الأدعياء ، وأشواك البطانة ، وأشواك الذين يريدون الظهور .

الخاتمة

على الرغم من هذه الأشواك الكثيرة المغروسة في درب المسلمين ، وهذه الحراب المرفوعة في وجوههم فإن المدّ الإسلامي يدوس على هذه الأشواك ، ويزيح تلك الحراب ، ويتخطّى الصعاب وينطلق ، ونرى مداً إسلامياً في مناطق يتوقّع المراقبون ، ويظن الأعداء أنه لم يعد هناك أمل للمسلمين فيها ، وذلك حسب المعطيات المادية التي يُقدّرون بها الأمور ، ولكن أمر الله غالب ولا رادّ له ، فإذا بالفجر يبزغ من جديد ، ويشرق النور ، ويتحرّك المسلمون ، ويذهل الأعداء ، ويزداد حقدهم ، ويبدأ مكرهم من جديدٍ ، ويعود كيدهم للتخطيط في محاولةٍ ثانيةٍ للعمل على إبادة المسلمين .

وعلى الرغم من الهجمة الشرسة في هذا الوقت على الإسلام ، والتي تجاوزت كل ماسبقها من هجمات إذ هبّت دنيا الكفر دفعةً واحدةً من يهوديةٍ ، ونصرانيةٍ ، وهندوسيةٍ ، ومن مختلف الأرض الكافرة جميعاً ، ومعها المنافقون (العلمانيون) ، وأعوان الطغاة الظالمين جميعاً من أصحاب الشهوات وأهل المصالح وعلى رأسهم كلهم الهيئات

والمنظمات الدولية التي تضمّ من يمثل هؤلاء جميعاً ، ومن يتحرّك تحت مظلةٍ ، ومن يتغطى بغطاءٍ ، ومن يتنكر بقناعٍ ، ومن يتخذ جلد غيره. لقد هبَّ هؤلاء جميعاً دفعة واحدةً على الجبهات الإسلامية كلها ، وبكل أسلحة مكرهم ، ووسائل كيدهم ، وأساليب حقدهم ظنّاً منهم أنهم بهذه الطريقة سينالون مبتغاهم. وكانوا من قبل يعملون على جبهةٍ معينةٍ ، ثم ينتقلون إلى غيرها. ويُقاتلون في ساحة ، وينتظرون دور غيرها ، ويصارعون في ميدانٍ ، ثم يفكرون في تغيير السلاح ، يستعملون تارةً الحراب ، وأخرى الأشواك ، وثالثةً الإفساد ، ورابعةً المكر ، وخامسةً الحيل والدهاء ، أما الآن فقد فُتحت الجبهات كلها ، واستخدمت الأسلحة جميعها ، وعلى الرغم من ذلك فالمدّ الإسلامي يتنامى من جديدٍ في بقعةٍ كان الأعداء يحسبون أن المسلمين فيها قد ألقوا السلاح ، واستسلموا ، وخنعوا ، وأخذوا يغطّون في سباتٍ عميقٍ بل أخذ الموت يتخطفهم ، وبينما الأعداء في تفكيرهم ذلك وقد ابتعدوا عن تلك البقعة وإذا بالفجر الإسلامي يشرق من جديدٍ ، وإذا بالنور يملأ الأرض فيوضّح الحقائق ، وإذا بالأحقاد في موطنها ، وإذا بالإسلام في كل فمٍ.

ويُذعر قادة الدول النصرانية الكبرى ، ويهولهم الأمر ، ويطلبون ملفّات الإسلام من مخابراتهم ، وتقوم الدراسات ، وتجري المناقشات حول المستجدات ، والإجراءات الواجب اتخاذها ، ولكن لم تصل بهم الأمور إلى ما ترتاح إليه نفوسهم الحاقدة على المسلمين ، الظمأى إلى قتلهم ، وكلما اتخذوا أسلوباً مقترحاً وجدوا عدم جدواه ، ورأوا أنهم لم يفعلوا شيئاً ، وذلك لأن دراستهم لم تتعد الجوانب المادية التي يعرفونها ، ويؤمنون بها ، أما القضايا الإيمانية فلم تطرق شغاف قلوبهم ليفكّروا بها ، وليضعوها ضمن مخطط دراساتهم .

والواقع أن العقيدة لا تقاتل بالسلاح المادي ، ولا تُحارب بالسيف ، وإنما بالحوار والنقاش العلمي حتى نصل إلى نتيجة فإما أن نؤمن بها ، ونعتقدها لما فيها من صلاحيةٍ . وإما أن نتغلّب عليها بما نحمل من عقيدةٍ أوضح منهجاً ، وأهدى سبيلاً ، وأكثر انسجاماً مع الفطرة البشرية ، واليهود والنصارى قد رفضوا الحوار العلمي مع الإسلام منذ ظهوره ، ومنعوا أتباعهم من الدخول في نقاشٍ مع المسلمين لوصولهم إلى مرحلة اليقين بأن الإسلام هو الدين الصحيح ، وأنه من

عند الله ، ولم يدخله شيء من التحريف ، وان دياناتهم فاسدة أصابها التبديل والتغيير تبعاً لأهواء رهبانهم ، ولكن يصرّون على ما عندهم حسداً من عند أنفسهم وتعصّباً ، وحقداً ، ويدفعون أتباعهم للتمادي في الباطل ، والبقاء على الجهل ، والقتال من غير معرفةٍ ، ولذا فهم خاسرون فكرياً ، وليس أمامهم إلا السيف حكماً ، وتمسّكاً بالهيمنة والسيطرة .

ووضع الأعداء في اعتبارهم كل موضوعٍ ماديٍ ، وكل تدبيرٍ بشريٍ غير أنهم لم يُفكّروا بالروح المعنوية لدى المسلمين التي تنبع من إيمانهم ، ولم يخطر على بال الدول النصرانية الكبرى القوة الكبرى والفعّالة التي تظهر من المظلومين ، وتبدو من المقهورين ، وتنطلق من المجروحين ، فالقطة الوديعة تصبح كالوحش الكاسر عندما يُعتدى على صغارها ، فما بالك بالإنسان الذي يرى أهله قد قُتلوا أمامه ، وأولاده الذين ذُبحوا على مرأىً منه ، ونساءه اللواتي اغتصبن وعينه تنظر ، وهو مكّبل يتنظر السكين لتحزَّ رقبته ، أو الرصاص يُطلق عليه ، فإذا تفلّت من قيوده ماذا يفعل؟ وإذا كان طليقاً ماذا يحلُّ بخصومه إن تمكّن منهم؟ ، وهذه الأحداث كلها تنزل بالمسلمين ، وردود الأفعال جميعها تظهر منهم ، وخوف

الأعداء من الروح المعنوية الإسلامية التي يسمعون بها خلال التاريخ ، والتي عرفوها أثناء قتالهم ، ولذا أطلقوا عليهم اصطلاح الإرهابيين ، ولكن مَنْ الإرهابي هل الظالم ، المجرم ، القاتل ، المغتصب أم المدافع عن أهله ، المحامي عن شرفه وعرضه ، الذائد عن حماه ، العامل على إنقاذ نفسه وتخليصها من الجزارين؟ .

ولم يخطر على بال الأعداء قدرة الله ، خالق البشر ، الذي بيده نواصيهم ، وقد تكفل بحفظ دينه ، ونصر من ينصره ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1] إذن ليس علينا أيها المسلمون إلا أن ننصر الله بطاعته فيما أمر ونهى ، والسير على شرعه ،

---

(١) سورة الحج ٤٠ ـ ٤١

والتمسّك بمنهجه ، وستكون لنا الغلبة بإذن الله في الدنيا ، والعاقبة الحسنة في الآخرة إن شاء الله .

ويجب أن نعلم أن اليهود والنصارى أعداء ، ولا يمكن أن يكونوا إلا هكذا ، ولن يتغيّر موقفهم أبداً ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝١٢٠ ﴾(1) .

ويكفي الأدعياء والأعوان وبطائنهم ومن سار معهم يكفيهم نفاقاً ، وموالاةً لليهود والنصارى ، وسيراً في فلكهم تحت أسماء كاذبةٍ تارةً « المجتمع الدولي » وأخرى « هيئة الأمم المتحدة » ، وثالثة « مجلس الأمن » ، ورابعة « المصلحة العامة » ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ ﴾(2) .

---

(1) سورة البقرة ١٢٠

(2) سورة المائدة ٥١

فاللأعداء من يهود ونصارى منهجهم ودربهم ، وهم لا يكفون عن وضع الحراب والأشواك في دربنا نحن المسلمين ، ونحن لنا منهجنا وطريقنا ، وعلينا أن نقضي على الأشواك الذاتية ، وأن نعتصم بحبل الله ، وأن نصبر ونُصابر ونُرابط حتى يأتي نصر الله ، والله ولينا ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الفهرس